الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

عنوان المذكرة

صناعة المصطلح البلاغي عند الجاحظ

–البيان والتبيين أنموذجا–

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: مصطلحية

إعداد الطلبة:

- زينب لهليلي
- خديجة شكراوي

تحت إشراف الأستادة

سامية بن عكوش

أعضاء لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
أ– رؤوف قماش	جامعة جيجل	رئيسا
أ– سامية بن عكوش	جامعة جيجل	مشرفا
أ– عبد الفتاح جحيش	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية: 2015 م–2016م

1436هـ–1437 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير:

الحمد لله رب العلمين خالق السماوات و الأرض، نحمده سبحانه و نستعين به و نشهد به، و الرحمن الرحيم، و نشهد أن محمدا – صلى الله عليه و سلم – عبده و رسوله.

بداية نتوجه بالشكر و الحمد الجزيل إلى مولانا سبحانه عز و جل الذي أنعم علينا بهذا، و أعاننا على إنجاز هذا البحث و وفقنا فيه، إليه يرجع الفضل كله.

بجزيل شكرنا نتقدم بعظيم امتناننا و نقر لمن كان له الفضل الكبير في إخراج هذا الجهد الكبير للوجود...

لمن كانت إرشاداتها القيمة و توجيهاتها السديدة إشارة إلى التشمير على سواعد الجد...

إلى الأستاذة الفاضلة سامية بن عكوش.

كما لا أنسى أن أشكر عبر هذه المناسبة بعض الأساتذة على مساعدتهم و توجيهاتهم إلى كل من مد يد العون و المساعدة و لو بكلمة.

و نسأل الله أن يبارك هذا العمل و يجعله خيرا للبحث العلمي، و نسأل الله أن يوفقنا إلى ما يحبه و يرضاه.

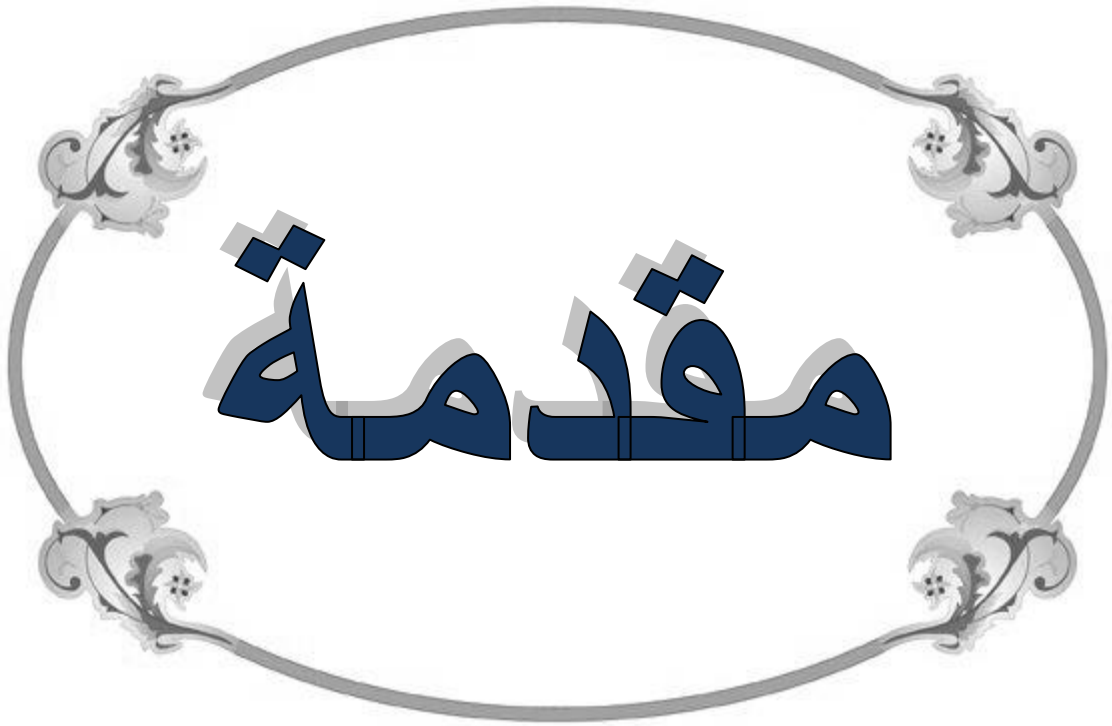

مقدمة

مقدمة:

إنّ حياة اللّغة ومقدار نموّها، ورقيّها، وتطوّرها يقاس بمدى تطوّر الأمّة واستيعابها لمختلف العلوم والفنون إضافة إلى جهود النّاطقين بها في حفظها، وصونها، وتحسينها، وكذلك في تاريخها العلمي والفكري وفي العلوم والأبحاث، والدّراسات المكتوبة على عكس اللّغة العربيّة الّتي تعاني التّخلف، والانحطاط انطلاقا من العصور السّالفة إلى يومنا هذا. ولكن مع تطوّر كلّ هذا نجد تطوّرا ملموسا في البلاغة العربيّة عبر محطات زمنيّة مختلفة كان ذلك بفضل النّضج والرّقي الّذي عرفه العربي آنذاك إذ أصبحت البلاغة قضيّة شغلت عقول العديد من النّقاد والعلماء قديما وحديثا، وذلك لأهميّتها الكبيرة مقارنة ببقيّة العلوم الأخرى.

لقد نبّه الكثير من الدّارسين القدماء والمحدثين على أهميّة المصطلحات واعتبروها مفاتيح العلوم، ورأوا بأنّ معرفة العلم لن تأتي إلاّ بمعرفة مصطلحاته معرفة دقيقة؛ لهذا كان لابدّ علينا التّطرق لهذا العلم والتّعرف على المصطلحات الّتي يتضمنها فكان "الجاحظ" من أهمّ روّاد علم البلاغة؛ وذلك من خلال محاولته الأولى في صناعة المصطلح معتمدا على طرائق مختلفة من مجاز، واشتقاق، إضافة إلى نقله من بعض النّقاد الّذين سبقوه في هذا المجال. ونظرا للطّريقة الّتي عرض بها تعريف هذا المصطلح فهي إمّا سليمة تامّة، وإمّا ناقصة أو مضطربة.

وكان اختيارنا لموضوع "صناعة المصطلح البلاغي عند الجاحظ –البيان والتبيين– أنموذجا" لأسباب عديدة مابين موضوعيّة وذاتيّة؛ أمّا الموضوعيّة فتمثلت في الأهميّة الّتي تحظى بها البلاغة العربيّة في النّقد العربي القديم والحديث. وبالنّسبة للأسباب الذّاتيّة فكانت لقراءتنا لكتاب "البيان والتّبيين" الّذي لاحظنا في كثير من المواقف على كيفيّة صناعة "الجاحظ" " لمصطلحاته البلاغيّة.

وقد استوقفتنا إشكالية صناعة المصطلح عند الجاحظ ومنها تفرعت إلى الأسئلة التالية :

–ما العلاقة بين البلاغة والصناعة في نقد الجاحظ؟.

–وإذا كانت البلاغة صناعة للمصطلحات؛ فما هي صيغها ؟ وكيف صكها الجاحظ؟.

–هل راعى الشروط التداولية في صناعتها ؟.

– هل يعتبر الجاحظ صانعا أم ناقدا ؟.

ولمعالجة هذه التّساؤلات حدّدنا مجموعة من الفرضيات كنقطة انطلاق لهذه الدّراسة منها:

_ أنّ البلاغة هي القبض على المعنى.

_ أنّ المصطلح البلاغي يعبّر عن المفهوم الّذي وضع له.

_ أنّ "الجاحظ" في صياغته للمصطلح البلاغي اعتمد على مجموعة من الآليات الّتي جعلت منه مبدعا حقيقيا وصانعا للمصطلح.

وارتأينا في هذه الدّراسة أن يكون المنهج "الوصفي التّحليلي" هو المنهج المتبع؛ باعتباره منهجا يقوم على تحليل، ووصف الظّاهرة بطريقة علميّة كونها دراسة قائمة على إحصاء المصطلحات الّتي يتضمنها علم البلاغة وبالتالي قمنا بجمع واستخراج كل هاته المصطلحات الّتي لها علاقة مباشرة بالبلاغة.

وحتّى نستوفي هذه الإشكاليّة بالدّراسة اتبعنا خطّة توضح سيرورة البحث عبر ثلاثة فصول، ومقدّمة وتمهيد وخاتمة طبعا. أمّا التّمهيد فقد كان لتحديد شخصيّة "الجاحظ" الموسوعيّة والعبقريّة.ليكون الفصل الأوّل الموسوم بـ: "الدّرس البلاغي عند "الجاحظ"، المفهوم، والموضوعات والأسس النّظريّة". عبر ثلاثة مباحث؛ حيث جاء المبحث الأوّل بعنوان: "القضايا البلاغيّة في النّص البلاغي القديم". وكان المبحث الثّاني معنونا بـ: "أصناف البلغاء وألوان البلاغة في "البيان والتّبيين". ليأتي المبحث الثّالث الّذي كان موسوما بـ: "البلاغة والفلسفة في النّص البلاغي لـ "الجاحظ".

ليأتي الفصل الثّاني تحت عنوان: "الصّناعة في الثقافة اليونانية". وقد ارتأينا معالجته هو الآخر عبر ثلاث مباحث؛ المبحث الأوّل بعنوان: "مفهوم الصّناعة في النّقد العربي القديم". والمبحث الثّاني بعنوان: "مفهوم الصّناعة في النّقد العربي القديم". والمبحث الثّالث بعنوان: "الصّناعة في كتب "الجاحظ".

أمّا الفصل الثّالث والّذي كان موسوما بـ: "صناعة المصطلح البلاغي في كتاب "البيان والتّبيين" ليكون تطبيقا لهذه التّمهيدات. ليكون هو الآخر عبر ثلاثة مباحث؛ تناولنا في المبحث الأوّل: "طرائق صناعة المصطلح البلاغي في "البيان والتّبيين". وكان المبحث الثّاني الموسوم ب: "المصطلح والعناصر التّداوليّة في "البيان والتّبيين". أمّا المبحث الثّالث والأخير فكان: "تقييم تجربة صناعة المصطلح لدى "الجاحظ".

وكأي بحث من البحوث تواجهه صعوبات فكانت صعوبة فهم كتب "الجاحظ" خاصة "البيان والتّبيين" كونه يستخدم أسلوب الاستطراد، إلاّ أنّها لم تكن صعوبة بقدر ما كانت حافزا لنا لإتمام هذا البحث بشيء من الجديّة والدّقة.

وامدادا لهذا البحث بالمادّة المعرفيّة اللاّزمة والأمانة العلميّة الصّادقة اعتمدنا مجموعة من المصادر والمراجع تتفاوت من حيث القدر والأهميّة. أمّا المصادر متمثلة في كتاب "البيان والتّبيين" لـ "الجاحظ". وكتاب "الصّناعتين" لـ "أبي هلال العسكري". وكتاب "نقد الشّعر" لـ: "قدامة بن جعفر".

أمّا المراجع فقد اعتمدنا على مجموعة متنوعة منها: "شوقي ضيف" في كتابه "البلاغة تطوّر وتاريخ". وكتاب "في تاريخ البلاغة العربيّة" لـ "عبد العزيز عتيق". وكتاب "في بلاغة الخطاب الإقناعي" لـ "محمد العمري".

وفي الختام نتقدم بجزيل الشّكر والتّقدير إلى أستاذتنا الفاضلة "بن عكوش سامية" الّتي تولّت هذا البحث بإشرافها وتوجيهها واعتنت بقراءته، ومنحتنا من وقتها الكثير، كما أنّنا استفدنا من نصائحها وملاحظاتها فجزاها اللّه خير الجزاء ووفقها لما يحب ويرضاه.

الفصل الأول

تمهيد:

مرت البلاغة العربية بمراحل مختلفة وأطوار متعددة حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن من نضج وازدهار وصارت علما له قواعده وقوانينه التي تحكمه، وقد شهدت البلاغة في رحلتها من الفطرة إلى العلم رجالاً أسهموا بجهودهم الملموسة في تشكيل ملامحها وتحديد مفاهيمها ومن بينهم: الجاحظ الذي يُعتبر دائرة معارف عصره، لم يترك علما من العلوم أو فنا من الفنون إلا واطلع عليه وكتب فيه بل وكانت فيه آراء وتأليف، فقد درس الفلسفة والمنطق، والسياسة، والتاريخ، والأخلاق، والحيوان، والنبات، إلى جانب علوم اللغة والأدب، لم يترك شاردة أو واردة في عصره إلا وسجلها فكان بحق مرآة عصره وبيئته.

هو أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب الكناني الليثي بالولاء، من أهل البصرة ويعرف بالجاحظ لجحوظ عينيه واشتهر بقبح خلقته، والمؤرخون مختلفون في تاريخ مولده[1].

ولد الجاحظ في بيت فقير مات أبوه منذ حداثته فأصبح يتيما ولم يكن اليتم وحده هو المنغص الوحيد في حياة هذا الطفل حيث أجمعت المصادر على أنه جاحظ العينين بارزهما ناتئهما، ولهذا لقب بالجاحظ والحذقي يقال أنه كان مشوه الخلقه بشعا، ذميم الوجه، قصير القامة، وقد ضرب المثل ببشاعته حتى قيل فيه:[2]

ولو يمسخُ الخنزيرُ مسخا ثانيا ما كان إلا دون قبح الجاحظ

لقد أثر قبح الجاحظ في تفكيره فأرهف حسه الجمالي ودفعه إلى النقد الذي يلتمس مواضع الحسن ليجلوها ويقرضها ويبين مواضع القبح ليهزأ ويتهكم بها.

على الرغم من أن الجاحظ قد عانى في طفولته من غصات كثيرة؛ حيث أن رؤيته لنفسه ومقارنته مع الآخرين تبعثان فيه شعورا بالنقص أو بما يؤثر على مستقبله،حتى خيل له أنه ليس مثلهم من البشر فبشاعته الطبيعية أكسبته ثوبا من الدعاية الممزوجة بالجد أسكت الناس ما هو عليه، فكان خفيف الروح، حسن العشرة يتهافت الناس على الاستماع بنوادره وأدبه.

لم يحدثنا الرواة عن طفولته بشيء ولم ينقلوا لنا ما يفتح الطريق أمامنا،فلا تستنتج إلا أثارا ضئيلة نتلمسها تلمسًا، تكاد لا تهدينا إلى شيء كما لم يبحثوا عن المؤثرات الوراثية الخاصة التي ورثها عن آبائه حتى نكاد لا نعرف عن أمه وأبيه شيئا – إلا اسمهما – ماعدا خبرا ضئيلا عن أمه وهو أنها يوم توفي والده كفلته وأعانته على الحياة، ولكن هذه الكفالة ما كانت لتعقبه من تحمل أعباء الحياة برغم صغر سنه، ومما يدل على وعيه المبكر وبُعد نظره ورجاحة عقله، بيعه الخبز بنهر سيحان بالبصرة أو بسيحان إحدى جهات البصرة ليعين نفسه وأمه على أسباب الحياة [3].

ولكنه كما أثبتت الأيام تخطى واقعه وعمل مستقبله ونجح بعقل متفتح ورؤية صافية، فقد أنسى الجاحظ صورته

---

[1] ينظر: جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، ج2، ص 294.

[2] ينظر: محمد علي زكي صباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، ط1، المكتبة العصرية، لبنان، 1998، ص 28.

[3] ينظر: محمد علي زكي صباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، ص 29.

الخارجية وأظهر من خلالها صورته الحقيقية فلم نعد نرى فيه سو ى صورة الرجل الكامل والعقل المفكر والأديب العالم.

تتلمذ الجاحظ في حداثته في اللغة والأدب على يد أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وفي النحو على الأخفش، وفي علم الكلام على أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلقي المعروف بالنظام المتكلم المشهور وزعيم طائفة المعتزلة ببغداد، إضافة إلى إطلاعه على الثقافة اليونانية عن طريق علماء الكلام ومشافهته لبعض مترجميها من بينها حنين بن اسحاق، وكذلك أخذ من الثقافة الفارسية عن كتب ابن المقفع، حيث كان مضطلعًا على جميع الثقافات وكان يقرأ كل الكتب التي تصل إليه [1]. فكان لهؤلاء اللغويين تأثير كبير على الجاحظ، فأخذ علوما كثيرة منهم، ومن هنا برزت شخصيته وذاعت شهرته وعبقريته، فقد حاول الجاحظ بلوغ مرتبة معاصريه من الكتاب والأدباء، وعاهد نفسه على تخطيهم والتفوق عليهم، فَكَوَّن لنفسه دائرة معارف واسعة، وخزانة علوم رحيبة.

وبالإضافة إلى ذلك كانت الرحلة وسيلة أخرى من وسائل استزادته من العلم والمعرفة، فقد كان ينتقل بين البصرة وبغداد ودمشق وأنطاكية، وهذه الرحلات أكسبته معرفة بطباع الناس وأخلاقهم وطرق معايشتهم وكان له من حسن الاستعداد والذكاء والوقاد والعقلية المتحررة خير معين على عملية والإستعاب والهضم والتمثيل لكل ما أصابه من علم وثقافة وتجربة [2]. فتاريخ الجاحظ في الواقع تاريخ قرن كامل فهو زهرة الدولة العباسية وكان من حظه وأن شئت فقل كان من حظ الثقافة العربية أن يعيش في العصر الذهبي للأمة عصر الرشيد والمأمون حيث العلوم والآداب، حيث حركة العلم والتأليف والترجمة نشيطة والتشجيع عليها كثير من ذوي السلطان والمال.

عاصر الجاحظ ثلاثة ممن ضربوا بسهم كبير في وفرة الإنتاج الفكري والتأليف واستووا على غاية قصر عنها من عدّاهم منهم: «أبو عبيدة، معمر بن المثنى وكان من أهل البصرة وقال صاحب الوفيات: "وتصانيفه تقارب مائتي مصنف" كذلك أبو الحسن علي بن محمد المدائني وله نحو مائتين وأربعين مصنفا حيث نجد الجاحظ روى له في البيان والحيوان روايات كثيرة إضافة إلى هشام بن محمد الكلبي الكوفي وله نحو مائة وتسعة وثلاثين مؤلفا »[3]. فقد كان لهؤلاء الأدباء قدر كبير عند الجاحظ فقد اتخذتهم أسوة له وحافز في المنافسة والمسابقة فقد وهبه الله في ذلك من ذكاء خارق ونفاذا وذاكرة في العلم.

فمن هنا ذاعت شهرته وبرزت عبقريته، يحدثنا طه الحاجري عن أسباب عبقريته فيقول: «إن الحياة العاملة تضم بين جوانحها شتى الأجناس البشرية تقريبا ولكل جنس منها خلقه ومزاجه وطابعه في تفكيره وتصرفاته ولم تكن طبيعة الحياة فيها لتجعل من هذه الأجناس المختلفة (....) فتحتك الطبائع وتتلاقح الأمزجة وتزداد بذلك

---

[1] ينظر: م.ن،ص 34.

[2] ينظر:عبد العزيز عتيق: في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، ص 52.

[3] أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى ا لبابي الحلبي، القاهرة، ج1، ص 4.

تعقدا والتواء»[1]. فما أتى به هذا العبقري من تراث في زمانه للعرب أو غيرهم من الأمم يبدو واضحا من خلال تأليفه في الطابع الإنساني لهذا التراث ويرى ضرورة تصوره للاجتماع البشري وذلك من خلال تعريفه للبيان وتفكيره في إصلاح العالم بواسطة الأدب، لأن البيان هو الدليل الأعظم الذي تتجلى فيه وحدة الجنس البشري في صورتها الأولى.

ورث الجاحظ أمته وأمم العالم مؤلفات كثيرة وعديدة قلما نجد رجلا مثله في تعددية طاقاته فلم يدع بابًا إلا ولجه ولا موضوعًا إلا طرقه، فقد كانت آثار الجاحظ ذات أهمية كبيرة في تاريخ الفكر العربي وهي تمثل صورة واقعية لعصره، فقد كان الجاحظ عبقريا شق طرق المعرفة بلا حدود حتى قيل: «أن أربعة لم يلحقوا ولم يسبقوا أبو حنيفة في فقهه والخليل في أدبه والجاحظ في تأليفه وأبو تمام في شعره »[2]. فقد خرج الجاحظ عن زهاء ثلاثمائة وستين مؤلفا في ألوان شتى من المعرفة رأى أكثرها في مشهد أبو حنيفة النعمان بتعداد، بسط ابن الجوزي ذلك أقصى تقدير وصلت إليه كتب الجاحظ كما أورد ذلك المسعودي: «ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتبا منه على أنه أدنى ما تنزل إلي هـ في التقدير أن تكون مائة ونيفا وسبعين كتابا وياقوت في معجمه الأدباء، قد ذكر فهرست كتبه ورسائله فأثبتت منها مائة وثمانية وعشرين مصنفا »[3]. فقد كانت غاية الجاحظ من هذه الكتب الابتكار وأن يطرف ويشبع الفكاهة في قلوبهم أثناء الكلام فهو يريد بذلك أن يجذب القارئ إليه، وهذه المؤلفات هي خير مثال للثقافة العربية والنضج الفكري وللأدب وللأسلوب الرفيع وقد ضاع الكثير منها.

خلف الجاحظ مؤلفات عديدة أهمها: كتاب البيان والتبيين في الأدب والإنشاء وأبحاث في البيان والخطابة والخطباء والسجع والشعر والشعراء والنساك والزهاد، كتاب المحاسن والأضداد، والعجائب والغرائب، كتاب سحر البيان، كتاب طبقات المغنين[4].

ومن كتبه في علم الكلام كتاب خلق القرآن، وكتاب الرد على المشبهة، وكتاب النصارى، وكتاب الاعتزال وكتاب الإمامة.

ومن كتبه في السياسة والتاريخ: كتاب العرب الموالي وكتاب العرب والعجم ورسالة في فضائل الأتراك وذلك بمناسبة دخول الأتراك في جند المعتصم، وكتاب السودوان والبيضيان وكتاب الصرحاء والهجناء.

وفي طبقات الناس والأخلاق ألف كتب البخلاء وكتاب السلطان وأخلاق أهله وكتاب الجواري والحاسد والمحسود والحزم والعزم والأمل والمأمول والولادة وغش الصناعات والاستبداد والمشاورة في الحروب.

وفي النبات ألف كتاب الزرع والنحل وفي الحيوان ألف كتاب الأسد والذئب وكتاب البغل وكتاب الحيوان [1].

والملاحظ من خلال هذه المؤلفات أن للجاحظ ثقافة واسعة ومتنوعة فهي مزيج من الثقافات اليونانية والفارسية

---

(1) ينظر:محمد علي زكي صباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، ص 34.

(2) م.س،ص 42،

(3) الجاحظ: الحيوان، ج1، ص 7.

(4) ينظر:جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،ص 296.

والهندية والعربية، فقد برزت ثقافته من خلال إنتاجه وتكوينه فقد عرف بأنه عالم ومفكر وناقد ولساني وبلاغي وأديب وغير ذلك من الصفات التي قد يطول سردها لو تتبعنا جميع المواضيع التي طرقها والكتب التي ألفها وهي صفات لابد من إبرازها في يوم من الأيام إذا أرادنا أن نخرج للجاحظ صورة كاملة تعبر بأمانة عن جوانب شخصيته.

يعد الجاحظ مؤسس علم البلاغة العربية فهو أول أديب تناول هذا العلم وتوسع فيه وأضاف إليه الكثير من نشاطه الأدبي والفكري كما أنه أول من جمع ما يتصل به من كلام سابقيه ومعاصريه وشرحه وأضاف إليه أفكار وآراء فقد كان له أثر كبير وواضح في تاريخ البلاغة، فمكانة الجاحظ في البلاغة العربية واضحة ولا تحتاج إلى دليل وهذا باعتراف أنصاره وخصومه على السواء، ولكن هناك من يشيدون ببلاغته لا يقصدون بذلك إلا أسلوبه في الكتابة ولا يراعون الجانب النظري إلا قليلا حتى أن النقاد المحدثون لم يتمكنوا من إيجاد مخرج أمام تشتت الآراء البلاغية وتشعبها[2]. وبهذا نقول على أن الجاحظ على كثرة ما كتب في البلاغة صار أديبًا بليغا بطبعه وذكائه وعقله فهو بلا منازع الأول في علم البلاغة.

فالجاحظ لم يكن ينظر إلى البلاغة كعلم فحسب ولكن كأدب أيضا بل إن البلاغة عنده هي المقام المفضل الذي تلتقي فيه أهم العناصر المقومة لثقافة العلم والفن والأدب ولذلك كانت كل شيء في الإنسان بل هي الإنسان نفسه، «قال بعض الأوائل إنما الناس أحاديث فإذا استطعت أن تكون أحسنهم حديثا فافعل، ثم هي تعلم الإنسان كل شيء تعلمه القول وتعلمه العمل والقول فيها بالنسبة للعمل هو كالمرآة بالنسبة للشخص والظن بالنسبة للجسم أي أنه يعكس صورته ويحكي حركاته ولا مجال للفصل بين هذا وذاك »[3]. وبهذا يكون الجاحظ قد رسم للبلاغة أفاقا تتجاوز كثير الحدود الضيقة التي حصرها فيها من جاء بعده من البلاغيين.

كما أثار الجاحظ بعض القضايا البلاغية وتتمثل في عيوب اللسان وجاءت تحت عنوان «ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وقد تعرض لها عندما تحدث عن عيوب الخطباء فقد جعل الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والعرب كله سواء وجعله بيانا »[4]. كما نبه على وجوب مراعاة مقتضى الحال وقسم الكلام إلى طبقات تتناسب مع طبقات الناس فقال: «وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا لا أن يكون المتكلم بدويًا أعرابيا فإن الوحشي من الكلام يفهمه السوقي رطانة السوقي (....) فمن الكلام الجزيل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسمح والخفيف والثقيل

---

(1) ينظر: عبد العزيز عتيق: في تاريخ البلاغة العربية، ص 51.

(2) محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر، 1994، ص 5.

(3) م .ن ،ص 10.

(4) أبي عثمان بن عمر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ج1/ 1998، ص 34.

وكله عربي...»[1]. فالجاحظ قسم الناس إلى طبقات وذلك من خلال مطابقته بمقتضى الحال وذلك يستوجب وجوب تحري الموضوع أو الغرض المتحدث عنه واختيار ما يلائمه ويناسبه من الألفاظ.

كما تعرض لكثير من الفنون البلاغية وهذا ما نجده من خلال كتابه البيان والتبين من جانبه النظري والتطبيقي حيث قدم من خلاله نماذج من فنون البلاغة وأساليب البيان، كما أنه عرض البديع وذكر أصحابه وأبرز شعراءه وتحدث أيضا عن الإيجاز والإطناب والسجع والمجاز والتشبيه وقدم نماذج من خلالها في كثير من المناسبات.

يقول الدكتور شوقي ضيف: «إن الجاحظ قد ألم في كتاباته بالصور البيانية اهتماما كبيرا وذلك حتى يكون أسلوبه متميز عن غيره، فأسلوبه متميز ولا يقوى أحد على منافسته إلا من كان بليغا بطبعه »[2]. لقد أبدى الجاحظ اهتماما واضحا بالصور البيانية، كما أنه اختار لنفسه أسلوبا لم يسبق أحد إليه، فهو أسلوب لا يقوى عليه أحد إلا إذا كان بليغا مثله فلقد ظلت كتابته في البلاغة والبيان معينا لينفذ لمد الأجيال التالية بكثير من قواعدهما، فالجاحظ لم يجعل من البلاغة علم فحسب بل جعلها كأدب فهي تحتل المقام الأول لكونها من أهم العناصر المكونة لثقافة العلم والأدب فأعتبرها كالإنسان في كل شيء بل يمكن القول أنها الإنسان نفسه.

كما عرف الجاحظ بالأدب وبه اشتهر واحتل مكانة مرموقة في الأدب العربي وهو مازال على قيد الحياة وقد نال هذه الشهرة من خلال إنتاجه الوافر الذي تركه في هذا الميدان ويعود الفصل في ذلك إلى كتابه البيان والتين.

وقد سجل ابن خلدون رأي قدماء العلماء في كتاب البيان والتبين إذ يقول عند الكلام عن علم الأدب «وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي عالي القالي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها»[3]. فقد اجمع المتقدمون من أكابر الأدباء والعلماء على أن كتاب "البيان والتبين" من أفضل ما وضع في الادب وهذا راجع إلى اهميته في الدراسة البلاغية وحتى اللغوية وبهذا يكون الجاحظ أوسع أهل زمانه علمًا ومعرفة .

وتجمع المصادر القديمة على أن الجاحظ كان من الشخصيات البارزة في علم الكلام على مذهب المعتزلة فقد نسبت إليه إحدى الفرق وصارت تحمل اسمه.

كان الجاحظ من فضلاء المعتزلة جماعة المفكرين في ذلك العهد تلقى العلم على يد أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور، وكان علم الكلام قد نشأ على أثر نقل الفلسفة والتبحر فيها. وطالع الجاحظ كثيرا من كتب الفلاسفة وانفرد عن سائر المعتزلة بمسائل تابعة بها جماعة عرفوا بالجاحظية، ومن

---

(1) م.ن، ص 144.

(2) شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة، ص 56.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين ،ج1، ص 6.

مذهبه أن المعارف كلها ضرورية وليس فيها شيء من أفعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الإرادة [1].

فقد كان متنورًا في فكرة حيث مثل الجاحظ المعتزلة خير تمثيل إذ مثل فرقة من فرقهم سميت بالجاحظية فقد ذكرها الشهرستاني وذلك من خلال قوله: «الجاحظية أصحاب عمر بن بحر الجاحظ كان من فضلاء المعتزلة والمصنف لهم وقد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط وروج بعباراته البليغة وحسن براعته اللطيفة، وكان في أيام المعتصم والمتوكل»[2].

وقال عنه البغدادي: «والجاحظية وأتباع عمرو بن الجاحظ وهم الذين اغتروا بحسن بيان الجاحظ في كتبه التي لها ترجمه تروق بلا معنى واسم يهول، ولو عرفوا جهالاته في ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه إنسانًا فضلاً عن أن ينسبوا إليه إحسانًا»[3].وبهذا نجد الجاحظ كغيره من المعتزلة ويرى بأن صدق الحديث إذ وافق العقل وأن يكون الاهتمام بالحديث في باطنه الذي هو جوهره لا في ظاهره الذي لا يقدم دلالة على معناه.

ويرى بأن المعرفة تكون من خلال الحواس وبأن الحواس هي السبيل إلى إدراك الطبيعة، والطبيعة قوامها أجسام متوافقة من جواهر الجوهر لا ينعدم ولا يفنى فالأجسام بذلك لا تفنى والله لا يقدر على إفنائها ولكنه يقدر على أن يفرق أجزائها ويعيد تركيبها فهذه الأجسام ثابتة ولا تفنى ولكنها تتغير باختلاف الأعراض عليها.

كما أن الجاحظ أسس مذهبًا فلسفيا دافع عنه واتخذه برنامجا تربويا فقد كان يريد به في كل مكان، فقد جمع بين العقل والفلسفة والمنطق والعلم والأدب...ومهما تكن الآراء حوله إلا أنه ليس بحاجة إلى من يدافع عنه تهمًا فيكفي أن يكون من صحح نسب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو من دافع عن العرب ضد الشعوبية دفاعا مجيدًا كما أنه أجاد في مسائل كثيرة، و امتاز بمبدأ التنوع داخل الوحدة والتشتت داخل الانسجام حتى انه أقام في التأليف منهجا علميًا وعمل على تطبيقه من خلال أسلوبه. فقد امتاز الجاحظ بالمزاوجة في أسلوبه يهدف من خلال ذلك إلى تحقيق الوزن والانسجام وهذا ما يمثل خصائص الشعر ونجد التنوع والتلون من خصائص النثر ولذلك حاول الجمع بين الشعر والنثر وذلك من أجل التقريب والتأليف بين الأجناس المتباعدة[4].

كان الجاحظ شيخا للنقاد وإماما للأدباء وأستاذ للمتكلمين وكان فيلسوفا وهذا بشهادة معاصريه فلا أحد ينكر فضله على النقد الأدبي وتأسيس مبادئه ووضع أصوله، فقد فاضل بين الشعراء وقد تكلم في الطابع والتكلف وبين أقدار الألفاظ والمعاني وتحدث عن العاطفة وأولية الشعر والتوليد فيه، وصنف مذاهب الشعراء.

غير أن هناك جانب من تراث الجاحظ أهمل وهو الجانب اللساني على الرغم من أنه هو الذي قام بإبداعه وخاصة أن اللسانيات سادت في تلك الفترة وطغت على ميداني النقد والأدب.

([1]) ينظر: جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ص 295..

([2]) أحمد علي زهرة: الكلام والفلسفة عند المعتزلة والخوارج، ط1، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 2004، ص 201.

([3]) م.ن،ص201.

([4]) محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبين، ص 6.

فقد أدرك الجاحظ أصول هذا العلم حتى أنه قام بتشخيص لمفهوم الحرف phonème وللوظيفة الحرفية phonologie حيث أنه توصل إليها عن طريق التحليل الوظيفي للحروف Analyse phonologique بتوضيح ذلك من خلال تقديمه لنماذج في البيان والتبيين وهي نفسها المستعملة الآن في الدراسات اللسانية، حيث أنه ميّز بين محور التغيير والتأليف فهما من دعائم اللسانيات الحديثة[1].

وتتجلى عبقريته الجاحظ من خلال قيامه بنفسه إلى التجارب الميدانية فكان يقوم بجمع الرسائل المكتوبة ويستمع للخطب وبعدها يقوم بعدّ جميع حروفها وبعد ملاحظته لتردد كل حرف تقوم باستخلاص وظيفة كل حرف ومردده في اللغة كما أن يقابل بين الحروف العربية وبعض الحروف الأجنبية [2]. وبهذا نقول أن الجاحظ قد أيقن أن هناك تداخل بين اللغات وبأن اللغة هي نظام متكامل وأنها ضرورية في تكوين فكرة القومية، إذ ليس من المبالغة أن نقول أن لسانيات الجاحظ لسانية علمية تجريبية نشأت في ظروف شبيهة بالظروف التي نشأت فيها اللسانيات الحديثة.

وبهذا فالجاحظ رغم ما عناه في حياته من ألم إلا أنه استطاع من خلاله أن يصقل نفسه ويكشف عن معدنها فإن كانت موهبة أصيلة برقت وشاعت، وإن كانت بها نزوة عابرة أضاءت ثم خبتت وهذا ما يفسر لنا الموهبة والأصالة عند الجاحظ فهو أعظم كاتب عرفته العربية فقد كان من الشخصيات الفذة والعظيمة، فقد تميز بالثقافة الواسعة جعلت منه موسوعة بمعنى الكلمة.

---

(1) **محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية و الأدبية، ص 15.**

(2) **م.ن، ص 9.**

المبحث الأول: القضايا البلاغية في النص البلاغي القديم:

1_ لغة:

ورد الجذر البلاغي "بلغ" في معجم لسان العرب بمعنى الوصول والانتهاء والاكتفاء في قوله: «بَلَغَ الشيء يَبْلُغ بلوغا: وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغا وبَلّغه تبليغا (...) والبلاغة والفصاحة والبَلْغُ: البليغ من الرجال. ورجل بليغ وبلَغ: حسن الكلام فصيحه يبلغ لعبارة لسانه كنه ما في قلبه» [1]. اقترنت البلاغة بالفصاحة بمعنى أن كل كلام بليغ يحمل في طياته الفصاحة، فالوصول والانتهاء إلى المعاني التي تستميل الأسماع وتكشف كنه القلوب وبواطنها هدف البلاغة.

ويتفق الجوهري معه في هذا الطرح الذي يفيد أن البلاغة غايتها الوصول والقربة إذ يقول: « بلغت المكان بلوغا، وصلت إليه وكذلك إذا شارفت عليه ومنه قوله تعالى:﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي قاربنه وبلغ الغلام: أدرك. والإبلاغ: الإيصال وكذلك التبليغ: والاسم منه البلاغ، والبلاغ أيضا: الكفاية(...) وقوله م أحمق بِلْغٌ بالكسر؛ أي هو مع حماقته يبلغ ما يريده والبلاغة: الفصاحة وبُلغ الرجل بالضم أي صار بليغا والبلاغات كالوشايات »[2].فكل المشتقات اللغوية تدل على الوصول فالإنسان إذا بلغ مكانا أي أنه وصل إليه وكذلك بالنسبة للكلام الذي يتكون من ألفاظ ومعان توصل من خلالها أفكارا ودلالات للقارئ أو السامع فينتقل معها ويبلغ ما يريده.

ومن جهته أيضا يرى الزمخشري في كتابه أساس البلاغة، أن هذه الأخيرة تحمل معنى الاكتفاء والوصول إلى المقصد الذي يراد الانتهاء إليه؛ حيث يقول: «بَلَغَ: أَبْلِغهُ سلامي وبَلَّغَه وبَلَّغْتُ، وبَلَغ في العلم المبالغ، وَبَلَغَ الصبي،وبَلَّغ الله به فهو مبلوغ به، (...) وتبالغ فيه المرض والهم إذا تنامى وتبلغ بالقليل: اكتفى به وتَبَلَّغَت به العلة: اشتدت، وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ، وتبالغ في كلامه: تعاطى البلاغة وليس من أهلها»[3].

يتبين لنا من هذا القول أن البلاغة تعني كذلك الاكتفاء، وعدم طلب الزيادة، وأيضا تفيد معنى احتلام الصبي، ووصوله سن البلوغ، أما في الكلام فالرجل إذا حسن استخدم الألفاظ والمعاني يطلق عليه اسم بليغ فالبلاغة تمثل الاستحسان، أما المبالغة فهي ضدّها وفيها استكراه وقبح كونها تشير إلى التكلف.

([1]) ابن منظور: محمد أبو فضل: لسان العرب، ط1، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، 1992، ج2، مادة "ب ل غ"، ص 143.

([2]) اسماعيل بن حمادة الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط1، دار الملايين، مصر، 1952، ج1، مج4، مادة "ب ل غ"، ص 1342.

([3]) أبو قاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998، ج1، مادة " ب ل غ"، ص 75.

في حين نجد التهانوي في الكشاف يرى أن البلاغة تفيد البراعة والقدرة على التصرف في العبارة ومطابقتها لمقتضى الحال فيقول: «عند أهل المعاني يطلق على معنيين أحدهما بلاغة الكلام وتسمى بالبراعة والبيان، والفصاحة أيضا، وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته؛ أي مع فصاحة ذلك الكلام» [1].

فالبلاغة متعلقة بالقدرة والبراعة على التصرف في العبارة، وذلك بإلباسها المعاني الرائعة ومحاولة إظهار المقصود بأبلغ الألفاظ وحسنها وأفصحها، كون الكلام البليغ مرتبط بالفصيح، وكذلك تقتضي البلاغة أن يتضمن الكلام الميزة الخاصة التي يتضمنها أو اقتضاها الحال.

2_اصطلاحا:

لقد ظل النقد والبلاغة متداخلين مند ظهورهما وهذا ليس بالأمر الغريب، ومرد ذلك أن كليهما يدوران حول تحقيق الجمال والقوة في التعبير والأداء، وقد ارتبطت البلاغة بقضايا نقدية شائعة منها: الإيقاع إذ يرد هذا المصطلح في كتب التراث النقدية والبلاغية؛ حيث يتعلق الإيقاع بالشعر الذي يتألف من الوزن والقافية والموقف النفسي فتتفاعل هذه العناصر مع الظواهر البلاغية وتتآلف معها لتنتج إيقاعا داخليا يسهم في بناء العمل الفني [2].

كما برزت قضية اللفظ والمعنى التي فتحت أبوابا واسعة لآراء النقاد والبلاغيين، فمنهم من يساوي في المنزلة بين اللفظ والمعنى، ومنهم من فصل أحدهما على الآخر، ولذلك تنوعت وتعددت آراء القدامى في تحديد ماهية البلاغة.

حيث نجد ابن المقفع (ت 143 هـ) قد حاول تحديد معنى للبلاغة، فجعلها اسما جامعا لعدة أقسام مختلفة فيقول: «البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل، فَعَامَّة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة» [3]. فابن المقفع في أول تفسيره للبلاغة يعمد إلى القسمة العقلية إذ بعضها يكون في الصمت، وبعضها في الاستماع، والإشارة، والكلام، لكنه يطلب في جميع هذه الأقسام الإيجاز، إذ أنه يتجنب الإطناب والإسهاب في الكلام كون جمال البلاغة يكمن في الإيجاز، كما يذكر ابن المقفع في وصية لأحد الكتاب أن يحذر من تتبع الوحشي من الكلام طمعا في نيل البلاغة ويدعو إلى استعمال الألفاظ السهلة وتجنب الألفاظ السَّفَلِة، ذلك أنه يرى بأن البلاغة في الوضوح، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا الوضوح مسوغا لاستعمال الألفاظ المبتذلة.

([1]) **محمد علي التهانوي: كشاف مصطلحات للفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، ج1، ص 343.**

([2]) **ينظر: أحمد حمدان: الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي، تح: أحمد عبد الله فوهور، ط1، دار القلم العربي، سوريا، 1997،ص5.**

([3]) **الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 115 – 116.**

فهذا شينللبلاغة وكأنه يطلب الوسط، فلا التوعر يحقق لصاحبه البلاغة ولا السهولة التي تستعين بالألفاظ السفلة تحقق ذلك، وإنما يحقق البلاغة استعمال الألفاظ التي تكن الخاطر ولا يحسنها كل إنسان [1]. ومن الملاحظ أن ابن المقفع لم يفصل في قضية اللفظ والمعنى، ولم يفصل اللفظ على المعنى أو العكس، إنما حذر من استعمال الألفاظ الغريبة والحوشية، وقد كانت لكلمات ابن المقفع أثر كبير في تدوين البلاغة، فالعصر الذي عاش فيه ابن المقفع كان عصر ازدهار اللغة والأدب.

أما ابن المعتز (ت 296هـ) في كتابه البديع، فقد عالج فنونه الخمسة الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة والإعجاز، على ما تقدمها والمذهب الكلامي، حيث فصل فيها وقدم العديد من الأمثلة والشواهد الشعرية والنثرية القديمة، فقد جعل البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء، ونقاد المتأدبين منهم، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو، وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين [2]. فكلمة بديع لم يخترعها المحدثون بل كانت موجودة مند القديم في كلام الشعراء والخطباء، وقد خص هذه الفنون الخمسة باسم البديع؛لأنها كانت موضع النقاش بين أصحاب البلاغة العربية وبين المحدثين المجددين فغرضه من هذا الكتاب هو تعريف الناس أن المتقدمين لم يسبقوا إلى هذا الفن، ومن أن أصوله تعود إلى القديم، فابن المعتز حصر البديع في خمسة فنون مع إضافة محاسن الكلام والشعر، كاعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه ثم يعود إليه فيتممه [3]. فابن المعتز اهتم بالبلاغة وفنونها إذ جعل أشعاره مكانا لتحتويها.

وفي نفس المعنى يسير رأي أبو هلال العسكري (ت 395هـ) صاحب كتاب الصناعتين حيث خصص الفصل الثاني منه في الإبانة عن حد البلاغة فيقول: «البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسٍ كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن، وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة لأن الكلام إذا كانت عباراته رثة ومعرضة خلقا لم يسم بليغا، وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى» [4]. فأبو هلال يرى أن الكلام الواضح السهل والقريب السلس هو الذي يستحق اسم البلاغة؛ لأن الكلام المستهجن الذي لا يفهم معناه لا يسمى بلاغة، فهي إيضاح المعنى، وتحسين اللفظ، وكذلك القدرة على تقريب المعنى البعيد بتوظيف ألفاظ أو عبارات سهلة وواضحة تكشف الملتبسات فكلما كان الكلام معقدا ووحشيا، ومتعلق مع بعضه البعض كلما ابتعد عن البلاغة ومال إلى استبهام المعنى وعدم فهم المتلقي له، فالبلاغة علم غزير في قول يسير [5]. والعبارات الموجزة تتضمن معاني كثيرة وواضحة سهلة يفهمها المتلقي.

---

(1) ينظر: علي محمد حسن ، عبد الله العماري: قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ط1، أميرة للطباعة، 1999، ص 105.

(2) ينظر: عبد الله بن المعتز: البديع، ط3، دار المسيرة، الكويت، 1983، ص 58.

(3) ينظر: م.ن، ص 59.

(4) أبو هلال العسكري: الصناعتين، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 1989، ص 8.

(5) ينظر: م.ن، ص 25.

ويتف ـق بـدوره الجرجاني (ت 417 هـ) م ـع سابقيه في أن البلاغة تت ـطلب الألفاظ السهل ـة الـواضحة، وتذمّ التعقيد الذي يخرج الصورة مشوهة، وغير حسنة فتذهب السامع أو المتلقي لعدم سروره بهذه الصورة والعبارات.فالكلام البليغ في رأيه هو: «ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك» [1].

فالمتكلم عليه أن يجتهد في تهذيب ألفاظه وترتيبها، حتى لا يخل بالمعنى ليكون شريفا وقويا يجذب المستمع إليه، فالوضوح والسهولة هما أساس الكلام البليغ؛ لأن المعقد من الشعر والكلام لم يذم؛ لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة، بل لأن صاحبه يعثر فكرك في متصرفه ويشيك طريقك إلى المعنى، ويوعّر مذهبك نحوه، بل ربما قسم فكرك وشعب ظنّك[2]. فالعبارة أو الفكرة التي تكون بسيطة وسهلة ترسم المعنى في ذهنك من غير جهد وعناء.

وأيضا نجد الجرجاني يربط البلاغة بالفصاحة ومن أن هذه الأخيرة جزء لا يتجزأ من البلاغة، فالمفهوم يجب أن يكون فصيحا حيث يقول: «فقد اتضح اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلما مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر» [3]. فاللفظة تكون فصيحة وحسنة المعنى وإذا كانت معاني الألفاظ الموجودة معها ملائمة مع معناها، كما أن الفصاحة متعلقة بالسياق الذي ترد فيه اللفظة فربما كانت لفظة ما، بليغة وفصيحة في نص ما، بينما قد تظهر غريبة وموحشة في نص آخر وهي نفس اللفظة لذلك فاللفظة متعلقة بما جاورها من ألفاظ ومعاني.

ويربط الجرجاني البلاغة بالرمز، والإيماء، والإشارة في خفاء، والبعض من الكلام البليغ كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج، وأيضا كما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه [4]. فالإشارة لا تظهر المعنى وإنما تلمح له كذلك بالنسبة للبلاغة، فاستخدام الألفاظ الوجيزة والسهلة الواضحة هو الذي يُظهر جمال البلاغة، وجزالة كلامها، لكن الإيجاز أو استعمال الإشارة لا يعني استخدام الألفاظ الرثة والإنقاص من المعاني؛ لأن ذلك يؤدي إلى الغرابة في الكلام.

أما في القرن السابع عشر فقد ظهر عالم ساهم في تطور الدّرس البلاغي على نحو واضح، وهو السكاكي (ت 626 هـ)، الذي رأى أن البلاغة تكمن في بلاغة المتكلم، وذلك من خلال قدرته على استخدام الألفاظ والبراعة في تأدية المعاني إذ يقول: «البلاغة هي: بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّ اختصاص بتوفيه خواص

---

(1) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ص 144.

(2) ينظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، ص 147.

(3) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط3، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص 38.

(4) ينظر: م. ن، ص 34.

التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية عل وجهها» [1]. فالسكاكي حاول ربط البلاغة بخواص التركيب، وكذلك إعطاء أهمية للمقام الذي يريد فيه الكلام البليغ، فالمتكلم هو الذي يستطيع توصيل المعاني إلى المتلقي مع الحفاظ على تركيب الألفاظ وعلى سياقها الذي وردت فيه،حيث ركز على خصائص الكلام الذي يؤلفه المتكلم والذي يؤثر في الآخرين، وبهذا التعريف أدخل مباحث علم المعاني وعلم البيان وأخرج مباحث البديع؛ لأنه وجوه يؤتى بها لتحسين الكلام وهي ليست من مرجعي البلاغة.

كما أن السكاكي يرى أن البلاغة متعلقة بالفصاحة ؛كون الفصاحة تركز على خلو الكلام من التعقيد وكذلك أن تكون الكلمة عربية أصيلة [2]. وهذا في الحقيقة من شروط البلاغة التي تركز على الوضوح، والسهولة والابتعاد عن غريب الكلام والوحشي منه، والمتمعن في كتاب السكاكي مفتاح العلوم يلاحظ أن مفهوم البلاغة اصطبغ بصبغة علمية له قواعده وأصوله الواضحة، فالانتقال من البلاغة الذوقية إلى البلاغة النظرية، ومن الحديث عن الأهداف إلى الحديث عن الخصائص واضح أشد الوضوح في تطور البلاغة بعد عبد القاهر الجرجاني [3]. فالسكاكي هو من جعل البلاغة علما مثلها مثل العلوم الأخرى، والملاحظ أن اللغويين الذين جاءوا بعد السكاكي كلهم قاموا بتلخيص كتب القدماء ولا يوجد إضافات جديدة لعلم البلاغة.

كما نجد كذلك الخطيب القزويني (ت 739هـ) في مؤلفه " تلخيص المفتاح" وهو تلخيص للقسم الثالث لكتاب مفتاح العلوم، حيث جعل البلاغة فيه تخص الكلام والمتكلم [4].وقد خالفت الفصاحة في المفرد الذي يمثل تنافر الحروف والغرابة، فالقزويني يولي اهتماما كبيرا للكلام الذي يتضمن ألفاظا ومعاني واضحة وسهلة يستطيع من خلالها المتكلم التأثير في السامع أو المتلقي بكلامه البليغ فتظهر براعته في حسن السبك وترتيب الألفاظ وكذلك القدرة على ربط المعاني بعضها ببعض مع تناسب المقام الذي وردت فيه، وهو في هذا الشأن يشير إلى بلاغة الكلام على أنه مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ومقتضى الحال يختلف حسب المقام لأن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام الذكر يباين مقام الحذف وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي [5]. فالكلام يكون حسنا إذا كان موافق للمقام المناسب له ويكون قبيحا إذ خالفه، فالبلاغة إذن هي: « صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب» [6]. فاللفظة في العبارة أو النص ترتـب حسب المعنى الذي تحم ــله وهذا اللفظ يختلف باختلاف المعنى المستع ـمل فيه، فالقزويني في تفسيره للبلاغة ركز على المتكلم والكلام واعتبرهما أساس الحكم على البلاغة.

([1]) أبي يعقوب يوسف ابن بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1983، ص 415.

([2]) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 416.

([3]) ينظر:بن عيسى باطاهر: تيسير البلاغة في كتب التراث، ص 55.

([4]) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب: تلخيص المفتاح، تح: عبد الرحمن البرقوق، ط1، دار الفكر العربي، 1904، ص 24.

([5]) ينظر: خطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 11.

([6]) م.ن، ص 12.

أما ابن سنان الخفاجي فقد حاول وضع حدود للبلاغة العربية وذلك في قوله: «وقد حد الناس بلاغة بحدود إذا حققت كانت الرسوم والعلائم وليست بالحدود الصحيحة، فمن ذلك قول بعضهم لمحة دالة، وهذا وصف من صفاتها، فأما أن يكون حاصرا، وحدا يحيط بها فليس ذلك بممكن لدخول الإشارة من غير كلام يتلفظ به تحت هذا الحد» [1]. فالخفاجي يرى أن الإشارة لا تدخل ضمن حدود البلاغة كونها لا تدخل في المنطوق.

2-1: البلاغة عند الجاحظ:

لقد تعددت آراء الجاحظ في البلاغة وذلك لمحاولته زرع بذور العلوم البلاغية في مؤلفاته الأدبية حيث وضع العديد من التعريفات التي تخص البلاغة منها ما يهتم بالمتكلم والمتلقي في قوله: « لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك» [2].

فالجاحظ غايته من الكلام البليغ هو الإيضاح والفهم ويكون إلا باستعمال المتكلم ألفاظا سهلة وجزلة ومعاني واضحة لتحقيق الإفهام للمتلقي أو السامع فحسن صياغة الكلام وانتقاء الألفاظ الحسنة والمعاني الشريفة هي التي تجعل الكلام بليغا، كما يظهر اهتمام الجاحظ بالمتكلم بتقديم إرشادات ونصائح تمكنه من صناعة نص أو كلام بليغ، إذ ينبهه إلى عدم استخدام اللفظ الساقط أو الحوشي الغريب [3]. لأن ذلك نوعا من التكلف الذي يفسد بلاغة الكلام ويخلق الغموض والالتباس لدى المتلقي فلا يتوصل إلى المعنى إلا بعد بدل جهد كبير وعناء في فهمه.

كما يرى الجاحظ ضرورة الإيجاز في البلاغة وعدم الإكثار من الألفاظ فيقول: «الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل [4].فالمتكلم الذي يطيل في كلامه بفتح أبواب واسعة على التكلف وبعرض للمستمع نقاط ضعفه في الكلام وأيضا لا يكون الإيجاز الذي لا يحقق الفهم والوضوح، فالإيجاز الكثير يحدث تداخلا في الأفكار والمعاني وتصبح فوضى في استعمال الألفاظ وكذا المعاني، بل يج ـب مساواة الألفاظ مع المع ـاني دون زيادة، والإيجاز ليس يعني به قلة عدد الحروف واللفظ قد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يشع بطن طومار (صحيفة كبيرة) فقد أوجز [5]. والعكس فقد يكون الكلام موجزا لكنه يعد طويلا لذلك تتطلب البلاغة الوسط أي عدم الإيطال ولا الإيجاز.

كما أولى الجاحظ اهتماما للمقام الذي توضع فيه الألفاظ والمعاني إذ يجب أن تتناسب الألفاظ مع الأغراض التي تعبر عنها كون مواضيع النصوص تختلف عن بعضها البعض أما الألفاظ فلا تختلف فقد يستعمل لفظا واحدا في أكثر من نص لكن دلالتها تتغير، فلكل ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء:

---

(1) بن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ط1، دار الكتب العلمية، 1982، ص 29.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 115.

(3) ينظر: م.ن، ص 114.

(4) م.ن، ص 112.

(5) ينظر: شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص 48.

فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف والإفصاح في موضع الإفصاح، وإذا كان موضع الحديث على أنه مضحك وماله وداخل في باب المزاج والطيب فاستعملت فيه الإعراب، انقلب عن جهته وتغير غرضه وكذلك إن كان لفظه سخف وأبدلت السخافة بالجزالة [1]. فالألفاظ لابد من أن تتطابق مع معنى القول فالألفاظ السخيفة تكون في موضع سخيف فضرورة المطابقة بين الألفاظ والمعاني وبين الموقع الذي صيغت من أجله فلكل مقام مقال خاص به فينبغي للمتكلم أن يعرف مقدار المعاني ويوازن بينها وبين مقدار المستمعين وبين مقدار الحالات فيجعل لكل ط ـبقة من ذلك ك ــلاما ولكل حالة من ذلك مق ــاما، حتى يق ــسم أقدار الكلام على أقدار المـعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[2].

فالبلاغة عند الجاحظ مرتبطة بمفهوم واسع يشمل المتكلم وأيضا النص كون هذه العناصر الثلاث هي التي تحقق الكلام البليغ الذي يجب أن يكون مطابقا لسامعيه لأن الناس طبقات وكذلك الكلام لذلك على المتكلم الموازنة بين كلامه والمتلقي حتى لا يكون التفاوت بين المتلقي والكلام الذي يسمعه.

2_2: البلاغة بين ثنائية اللفظ والمعنى:

ربط الجاحظ البلاغة بقضية اللفظ والمعنى كونهما أساس صناعة الكلام وبهما يميز الكلام الحسن عن القبيح لكن الجاحظ فضل اللفظ عن المعنى وولى اهتمامه به كون الألفاظ هي التي توصل المعاني للمتلقي فحسبه المعاني معروفة عند جميع الناس، والألفاظ هي التي يقام بها الكلام البليغ حيث يقول: « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي، والقروي، والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ، وسهولة المخرج وصحة الطبع، وكثرة الماء وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير» [3]. فالجاحظ في هذا القول يسقط أمر المعاني في صناعة الكلام وأن فضل الشعر يعود إلى اللفظ الحسن المخير الذي حسن نظمه وسبكه.

كما يرى الجاحظ أن لكل قوم ألفاظا أو معجما لغويا خاصا بهم كذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام منثور وكل شاعر وصاحب كلام موزون فلابد أن يكون قد لهج وألف ألفاظا بعينها، ليديرها في كلامه وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ [4]. فكل شخص له ألفاظ خاصة بهم يوظفها للتعبير عن المعاني التي يعرفها الناس لذلك يحاول الشاعر إظه ـار تلك الألفاظ في حلة جديدة تعبر عن معاني قديمة ومتبادلة عن ــد العامة، فالجاحظ تأثر بمذهب المعتزلة التي تعتبر البلاغة وسيلة إقناع وأداة هداية يراد بها تخيير اللفظ في حسن الإفهام ليكون الكلام البليغ على هذا المفهوم [5]. فالجاحظ ركز على ضرورة الفهم للكلام من طرف المتكلم قبل

---

(1) ينظر: محمد علي زكي الصباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، ص 154.

(2) ينظر: نزيه عبد الحميد فراج: من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوم، ط1، مكتبة وهبة، 1997، ص 76.

(3) الجاحظ: الحيوان، ج3، ص 131– 132.

(4) محمد علي زكي الصباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، ص 154.

(5) محمد كريم الكوار: البلاغة والنقد، المصطلح النشأة والتجديد، ط1، لبنان، 2006، ص 12.

عرضه على المتلقي وتحقيق الإفهام والوضوح في المعنى فالألفاظ وسيلة للإقناع وتجسيد الأفكار وإثارة المستمع من خلال الألفاظ الحسنة.

وقد أعطى الجاحظ كذلك المعاني جانبا من الاهتمام إذ يذكر أن له دورا في صياغة الألفاظ وصناعة الكلام حيث يقول: «ما في اللفظ لولا المعنى وصل الكلام إلا بمعناه» [1]. فالألفاظ هي التي توصل الكلام للمستمعين.

(1) ياسر بوميناخ: المعنى في البلاغة العربية من منظور اللسانيات التداولية دلائل الإعجاز عبد القادر الجرجاني – عينة –، معهد الأداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، 2014، ص17.

المبحث الثاني:

أصناف البلغاء وألوان البلاغة في "البيان و التبيين":

ألف الجاحظ كتابه البي ـان والتبيين لأجل وضع أسس البيان العربي ،إذ أورد أبيات متنوعة لمختلف الشعراء، وقام كذلك بعرض كلام البلغاء والخطباء الذين عاصرهم، وغيرهم من العصور السابقة، كما أشار إلى الحكام والسياسيين الذين كانوا يجيدون الصناعة الشعرية، والخطابية إذ وظّف قصائدهم وخطبهم المتقنة الموجهة للعامة والخاصة، ومن أهم البلغاء والنقاد ابن المقفع، وعمر بن عبيد وغيرهم.

1_ البلغاء النقاد:

لقد اعتمد الجاحظ في تعريفه للبلاغة على أقوال وأحاديث نقلها عن بلغاء سابقين كالفارسي ، واليوناني والهندي،وغيرهم، حيث لم يكن تركيز الجاحظ عند هؤلاء على شخصيتهم إنما كان اهتمامه بما تكلموه في البلاغة العربية و ذلك في قوله اليوناني: ‹‹البلاغة في تصحيح الأقسام واختيار الكلام›› [1].فانتقاء المعاني والألفاظ هو الوتر الأول في البلاغة أو في صناعة الكلام البليغ، كما أورد الجاحظ أقوالا لبعض الهنود كونه اضطلع على الثقافة الهندية فيقول: ‹‹جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإ فصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الترك وأحق بالظّفر›› [2]. جعل الجاحظ البلاغة في ثلاثة أمور هي: أن البلاغة تكون في الحجة وذلك في علم الكلام أو المتكلمين، بلاغة إشارية وذلك في الكناية التي تكون في الشعر، بلاغة الصمت ونصها يكون غير لغوي.

وكذلك نجد الجاحظ من أشد المتأثرين بابن المقفع وكتاباته الأدبية حيث أخد منها الكثير وعالجها واستعملها بشكل جديد ، خاصة قوله في البلاغة من أنها: ‹‹اسم جامع لمعاني تجري في وجوه كثيرة ››[1]. فقد استعار الجاحظ عبارة"اسم جامع" . كما ذكرناهفي المبحث الأوّل من الفصل الأوّل من الناقد ابن المقفع ليصنع مفهوما للبيان.

(1) ينظر:الجاحظ: البيان و التبيين، ص115.

والجاحظ لم يركز على شخصية ابن المقفع وهيئته الجسدية إنما كان اهتمامه على صناعته التي مست كل جوانب الأدب والحياة عموما.

وقد تعددت أراء الجاحظ في تفسيره للبلاغة حيث لم يجعلها في بلاغة الكلام أو النصوص إنما **تعداها إلى** بلاغة الصمت، وبلاغة الجسد بأحواله المختلفة.

1_1 الصمت وإعمال الفكر:

ذكر الجاحظ بلغاء ونقاد كان يعج ـب بشخصي ـتهم ويرى فيها بلاغة تغني ص ـاحبها عن الكلام وصناعته، مثل عمرو بن عبيد الذي كان كثير السكوت،وإذا تكلم لا يكاد يطيل .وكان يقول: ‹‹لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه›› [1]. فالصمت في بعض المقامات يكون أبلغ من الكلام في توصيل المعنى للمتلقي بما فيه تمهل ،وإعمال للفكر والعقل، ويكون الشخص الصامت نادر الخطأ، قليل الكلام لكنه يُبلّغ المعنى، والجاحظ من النقاد الذين يعتبرون البلاغة موجودة في الإيجاز وليس في الإسهاب وإطالة الحديث دون فائدة، إذ تؤدي الإطالة في الكلام إلى استخدام الألفاظ الرثة وغير الجزلة فقد تخرج عن المعنى التي صنعت لأجله مما يؤدي إلى الإبهام والالتباس، كما يقود هدر الكلام إلى التكلف والتصنع فيقول الجاحظ:‹‹ لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب›› [2]. فالصمت فيه بلاغة وحفظ اللسان من الخطأ أكثر من الكلام.

وأورد الجاحظ العديد من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة وكذلك كلام الأعراب وغيرهم الذين خيروا الصمت على الكلام واعتبروه بلاغة ومن أنَّ الكلام وكثرته فيه مضرة للإنسان إذ يقول النبي عليه السلام: ‹‹وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في نار جهنَّم إلا حصائد ألسنتهم›› [3]. فالكلام الكثير يجعل صاحبه يقع في الخطأ والمضرة، وقد اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم اللسان شرا للإنسان وذلك في قوله: ‹‹ما أعطي

(1) ينظر: م.ن: ص164.
(2) م.ن:ص 194.
(3) الجاحظ: البيان والتبيين،ص 194.

العبد شرا من طلاقة اللسان›› [1]. فالصمت يجعل صاحبه متربيا في أحكامه وأموره وفي استعماله للألفاظ فيتسرع في أقواله إلا بعد تفكير وتعقل في الكلام المناسب إذ لا يزيد ولا ينقص، فالصامت أو كثير الصمت يكون كلامه دائما بليغا مستوفيا للمعنى فلا يحتاج للاستعانة والتوضيح.

وأورد الجاحظ في باب الصمت قول أعرابي كان يجالس أشعبي فيطيل الصمت، فسأل عن طو ل صمه فقال: ‹‹أسمع فأعلم وأ سكتفأسلم›› [2]. فالسكوت يفتح المجال للتفكر وإعمال العقل والدهن في محاولة التماس المعنى والقبض عليه، ومن هنا وجب الاقتصاد في اللغة وأن لا يتكلم إلا فيما يحقق فائدة لغيره أو للمستمع فلا يمل لكلامه ولا يستكرهه لعدم بلاغته المبالغة فيه فحتى النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤكد على أن الكلام الكثير فيه مبالغة وتكلف وهو غير مستحب للمتلقي، فقد قال بعض الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم:‹‹أنت سيدنا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت ألحقته العزاء فرد عليهم النبي: أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستفزنَّكم الشيطان فإنما أنا عبد الله ورسوله ›› [3]. فالإسهاب في الكلام من عمل الشيطان فالصمت ضرورة تغني صاحبها عن استعمال الكلام المبتذل وغير بليغ.

كما تطرق الجاحظ إلى بلاغة أبو شمر أثناء نزاعه إذ يصفه بالسكون فلا يحرك يديه ولا منكبيه، ولا يقلب عينيه حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدع صخرة [4].فالسكون والصمت بلاغة في الأداء دون استخدام الألفاظ والمعاني.

وكذلك ذكر الجاحظ جعفر بين يحي الذي كان أنطق الناس قد جمع التمهل والجزالة والحلاوة وإفهاما ما يغنيه عن الإعادة ولو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه لاستغنى جعفر عن الإشارة كما استغنى عن الإعادة

([1]) م.ن، ص ن.

([2]) ينظر: م ن ، ص ن.

([3]) ينظر:م.ن، ص 195.

([4]) ينظر: الجاحظ: البيان و التبيين، ص95.

[1]. فإعمال الفكر والتمهل في اختيار المعاني والألفاظ الجزلة والحسنة يجعل الكلام بليغا وواضحا سهلا يتمكن السامع من فهم معناه والتأثر به، فالمتكلم الذي يصنع كلاما فيه إفادة للمتلقي وتعلم فلا عيب من إكثاره من الكلام فالصمت قد يكون عيبا إذا كان المقام يتطلب الكثير من الحديث والكلام، فبلاغة الصمت تختلف عن بلاغة الكلام في أن الصمت أو الصانع الصامت كلامه يكون موجزا ومستوفيا لكل المعاني لأنه يعارض الإعادة ويتركها لذلك يصنع كلاما يغنيه عنها.

1-2 قوة الحجة وبلاغة الأداء:

عالج الجاحظ كذلك في كتابه البيان والتبيين البلغاء والخطباء الذين كانوا يتميزون ببلاغة الألفاظ والقدرة على استخدام الحجة وتوظيفها في إقناع الناس والتأثير فيهم مثل سهل بن هارون الذي وصفه الجاحظ أنه ك ان عتيق الوجه، حسن الشارة، بعيدا من ا لفدامة، معتدل القامة مقبول الصورة يقضي له بالحكمة قبل الخبرة وبرقة الذهن قبل المخاطبة وبرقة المذهب قبل الامتحان وبالنبل قبل التكشف [2]. فالجاحظ يؤكد على أن هيئة سهل بن هارون تدل قوة حجته وبلاغة خطابه باختياره ألفاظه الشريفة والجزلة المعبرة عن المعاني المختلفة والتي توصل إلى المتلقي فتقنعه بأفكاره وسياسته، فالبلاغة أيضا تكمن في هيئة الشخص أو المتكلم خاصة وأن أغلبية العامة يحكمون على مظهر الخطيب أو الصانع خاصة إذا كانت له القدرة إلى استعمال الحجج وتأليفها قوالب تجعل المستمع معجب بكلام المتكلم وبشخصيته وهيئته البليغة، فالجاحظ يوجه ويوصي الصانع بعدم إهمال طبيعته وهيئته فيقول: ‹‹ولا تهمل طبيعتك فيستولي الإهمال على قوة القريحة ويستبد بها السوء العادة، و إن كنت ذابيان وأحسست من نفسك بالنفوذ في الخطابة والبلاغة وبقوة المنَّة يوم الحفل فلا تقصر في التماس أعلاها صورة›› [3]. فالمتكلم ليس بليغا فقط بكلامه إنّما أيضا ببلاغة هيئته حتى يؤثر في المتلقي وبلغت انتباهه له فلا يمل ولا يضجر

(1) ينظر: م.ن، ص 105-106.
(2) ينظر: م.ن، ص89.
(3) الجاحظ: البيان و التبيين، ص 200.

للاستماع للمتكلم الذي يستعمل الألفاظ الحسنة والمعاني الشريفة التي تحقق له الإفهام فالأداء يكون بليغا وواضحا إذا ابتعد الصانع في استخدام الغريب من الألفاظ والمعاني.

وأيضا نجد الجاحظ قد ذكر أن هناك من الأشخاص من لا تدل هيئته على أنه يقول أو يؤلف كلاما بليغا فيه من الحجة والق ـوة التي تجع ـــل الناس تع ـجب به في قوله: ‹‹وأ تى ح لق ـة من ح لق قريش في مس ـجد دم ـشق، فاستولى على المجلس ورأوه أحمر ذميما با ذّ الهيئة، قشيفا، فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا: الذنب مقسوم بيننا وبينك أتيتنا في زي مسكين تكلمنا بكلام الملوك›› [1]. فالمتكلم الذي له القدرة على اختيار الألفاظ والمعاني الشريفة وأيضا البراعة في استعمال الحجج وإقناع المتلقي والتأثير فيه بكلامه البليغ تجعل السامع يغير حكمه عليه، فيظهر له الاحترام والإعجاب الذي يناسب صناعته.

فاللسان البليغ والقوي في استعمال الحجج والتأثير في المستمعين بالأداء الحسن و المبلّغ هو الذي يصنع مكانة عالية للمتكلم وحتى وإن كانت هيئته تعبر عكس ذلك، إذ يقول الجاحظ: ‹‹ لو أن رجلين خطبا أو تحدثا، أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلا جليلا بهيا، ولبّاسا نبيلا وذا حسب شريفا وكان الآخر قليلا قميئا وباذِّ الهيئة ذميما وخامل الذكر مجهولا، ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة و في وزنٍ واحد من الصواب لتصدّع عنهما الجمع وعامتهم تقضي للقليل ال ذميم ع لى النبيل الجسيم ولشغ ـلهم التعجب منه في مساواة صاحبه به، ولصار التعجب منه سببا للعجب به›› [2]. فالكلام البليغ والقوي في الأداء يكون له وقع كبير في نفوس المتلقين خاصة إذا كان الكلام من صناعة متكلم لا تدل هيئته على أنَّه مجاراة غيره الذي يتميز بشخصية جميلة على باذ للهيئة ويعرف له بالصناعة القوية في الكلام، فالناس تعجب للمتكلم الذي يكون كلامه يختلف عن شخصيته وهيئته.

2_ القادة السياسيون:

(1) م.ن، ص98.

(2) ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ص89.

لقد أورد الجاحظ خطبا للحكام والسياسيين الذين كانت لهم علاقة كبيرة بالأدب والكتابة فألفوا خطبا وأشعارا يعالجون فيها قضايا مختلفة تخص الطبقة العامة أو الخاصة كالحرب، والدِّين، وحتى ما يخ ـــص أمور الأدب، ففي موضوع مقتل يزيد بن الملهب أمر الحارث بن ح دَّان بالكلام في هذا الأمر تجنبا للفتنة فقال: ‹‹أيها الناس اتقوا الفتنة، فإنها تقبل بش بهة وتدبر بيان، وإن المؤمن لا يلسع من الجحر مرتين›› [1]. فالخطيب يحذر المؤمنين من الوقوع في الخطأ مرة ثانية وذلك بالتنبيه بالجانب الديني واستعماله في توعية الناس بأمور الحياة والتخلي عن الثأر الذي يخلق الفتنة فكلام القائد يجب أن يكون بليغا وقويا له صدى كبير في المستمعين بالإعادة والتحذير من الوقوع في أمر لا يحمد عقباه، وقد ذكر الجاحظ أن النخار بن أوس العذري الذي كان يعيد الكلام ولا يكون ذلك عيبا فإنه إذا تكلم في الحملات وفي الصفح والاحتمال وصلاح ذات البين وتخويف الفريقين من التفاني والبوار كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف وربما حمي فنخر [2].

كما أورد الجاحظ خطبا لخطباء بارزين من بينهم علي رضي الله عنه الذي كان يخطب في الناس وذلك لحكمته وقوة كلامه وأيضا لمكانته التي كان فيها . وهي أميرا على المؤمنين وذلك في تحدثه عن الجهاد والقتال ضد عدوِّ الله إذ يقول: ‹‹أيها الناس المجتمعة أبدانهم مختلفة أهوائ كم، كلامكم يوهي الصّم الصّلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم، تقولن في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم حيدي حياد، ما عزت دعوة من دعاكم (...) ›› [3]. فخطب القادة والملوك كانت تمتاز بالتحذير من الوقوع في الفتنة وأهواء النفس والتوعية أيضا، إذ يرى الجاحظ أن في هذه الخطبة منها ما كان مستويا ومتلائما في استعمال الألفاظ والمع ـــاني مع الموضوع المتنـاول، لكن هناك من الخطب التي لا تمد بأي صلة بالموضوع المتطرق إليه وذلك في خطبة من خطب معاوية رضي الله عنه حيث اعتبرها الجاحظ خطبة فيها عجبٌ في قوله: ‹‹وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروب من الـعجب، منها أن

(1) ينظر: م. ن، ص16.
(2) م.ن، ص 105.
(3) الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص 53.

الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية»[1]. وكذلك خطبة زياد بالبصرة التي تدعى بالبتراء؛ لأنه لم يحمد الله ولم يصل على النبي عليه السلام، فالخطبة حتى يكون لها تأثير في المستمع عليها أن تستوفي جميع الشروط وأنّ يكون لخطيب أو القائد أن على إستخدام الألفاظ التي تعبر وتتناول الموضوع الذي جمع الناس حوله حتى يؤثر فيهم وأن يستعمل الحجج المقنعة في المتلقين والّ ـتي تغير أفكارهم وتج ـذب انتباه ـهم وأسماع ـهم وأبصارهم، فالكلام إذا أخرج عن مقامه أو سياقه لم يعد له معنا ويكون غير واضح بالنسبة للمتلقي فلا يحقق له الإفهام ولا الإعجاب.

فالجاحظ يرى أن الكلام البليغ يحتاج إلى ألفاظ ومعاني حسنة تمس المعنى مباشرة دون حاجة إلى شرح وإعادة للفهم، وكذلك القدرة في التلاعب بالعبارات واستخدام الحجج المقنعة والمؤثرة في العامة، فالمتلقي إذا أصابه الملل لم يعجب بكلام الخطيب وأفكاره وبذلك يفقد المتكلم مكانته في الاستماع والرَّد على ما يقوله، لذلك يجب على الصانع أن يرى مقام العامة أو الفئة التي يوجه كلامه إليها و أن تكون هيئته وصوته قويا حتى يثير الانتباه من طرف المستمعين.

2_1 فصاحة اللفظ و قوة الصوت:

كما أظهر الجاحظ أيضا تأثره كثيرا ببشير بن المعتمر المعتزلين وذلك لجزالة ألفاظه وشرف معانيه، إذ يرى فيه الجاحظ القدرة على التأثير في المستمعين لصواب آرائه وصدقها و لبلاغة كلامه وفصاحته إذ كان يوجه خطبه لكل فئات المجتمع ويحرص على أن تكون صناعته حسنة كما أنه أعطى صناعة الكلام أهمية كبيرة في حياة الناس لذلك اعتنى بتوجيه خطب تتناول مواضيع حول هذه الصناعة في قوله: ‹‹فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك وفي أول تكَلُّفِك، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة، والقافية لم تحلَّ في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها (...) ولم تكن حاذقا مطبوعا ولا

(1) ينظر: م ن، ج2، ص 61.

محكما لشأنك بصيرا بما عليك ومالك، عاتبك من أنت أقُل عيبا منه ›› [1]. فالخطيب يجب أن يكون قادرا على صناعة الكلام وذلك بفصاحة الألفاظ وبلاغتها واستعمال المعاني الشريفة وأيضا أن يمتلك صوتا قويا يؤثر في الأسماع.

فالجاحظ أشار إلى ضرورة أن يكون صوت الخطيب مسموعا وعاليا يثير انتباه المتلقي فيخرج الحروف من مخارجها بفصاحة وبلاغة يعجب المستمع لها؛ حيث أعطى مثالا بصوت العباس بن عبد المطلب الذي كان جهير الصوت، وقد م دح بذلك ونفع الله والمسلمين بجهارة صوته يوم حُنَيْن، حيث ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى العباس: يا أصحاب سورة البقرة هذا رسول الله فتراجع القوم [2].الصوت القوي الجهير له القدرة على التأثير في النفوس وتغيير ما فيها إضافة إلى استعمال الألفاظ الشريفة والتماس المعاني الجميلة التي تعبر عن المقام الموجود فيه فلا تخرج الألفاظ أو المعاني عن الموضوع الذي وضعت من أجله.

أما بالنسبة للشعراء والبلغاء فلم يركز على صفاتهم إنما ركز على نصوصهم الشعرية باستخدام أبيات تتناول موضوعا ما يخدم كلام الجاحظ فيورده لإثبات وإقناع المتلقي أو التعليق على نص الشاعر ونقده إما بالاستحسان أو الاستهجان وأيضا نجد الجاحظ قد تحدث عن شعراء قالوا في مدح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنثور يقول سويد بن أبي كاهل في ذلك: [3]

ودعتني برقها أن ـها تنزل الأعصم من رأسي اليفع

تُسمِعُ الحدَّاث قولا حسنا لو أرادوا مث ـله لم يُستَطَـع

فالجاحظ يؤكد على استعمال الألفاظ السلسة والمعاني المتمهلة فليس الغريب من الكلام من يكون فيه بلاغة إنما في الموضوع وفي القبض على المعنى، وقد تحدث أعرابيا سمع رجلا يمدح برقة اللسان فقال: ‹‹كان والله

([1]) **الجاحظ: البيان و التبيين، ص 138.**

([2]) **ينظر: م.ن، ص139.**

([3]) **ينظر: الجاحظ: البيان و التبيين، ص 166.**

لسانه أرق من ورقة وألين من سرقة» [1]. فلسان الشاعر أو المتكلم يجب أن يكون شريفا ومؤثرا في المستمع وأيضا أن يكون كلامه فصيحا بعيدا عن الابتذال والغرابة التي تجعل اللسان خشنا بعيدا عن الرقة والجودة.

فالجاحظ ركز على بلاغة المتكلمين والخطباء أكثر لتأثره بمذهب المعتزلة والمتكلمين وبالخطابة لربط البلاغة بالحجاج والإقناع فهو يرى أن في البلاغة إقناع و تأثير في النفس كما يفعل الخطيب في مستمعيه كذلك البليغ الذي يصنع الكلام الفصيح البليغ.

المبحث الثالث: علاقة الفلسفة بالبلاغة:

تعد البلاغة من علوم اللغة العربية وقد أولى القدماء هذا الفن عناية كبيرة ووضعت فيه دراسات كثيرة اتسمت بالأصالة والمنهج السديد وقد عرف العرب كثيرا من الأحكام النقدية التي أعانتهم على فهم الشعر وتذوقه، وقد تضافرت جهود كثيرة على وضع أسس البلاغة وأصولها ويمكن أن نفسر ذلك في الفلاسفة والمتكلمين.

فقد نشأت علوم البلاغة كغيرها من العلوم الأخرى لخدمة القرآن الكريم وقد دفعت صفة الإعجاز التي امتاز بها القرآن بالعرب دفعا قويا نحو البلاغة فقد شغل به العلماء واللغويون وحتى الناس حيث أخذوا بها وراحوا يتدارسونها ويعمقون البحث فيها ونجد أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين يقول: «أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه »[2]. ومن هنا برز الإهتمام الكبير بالبلاغة فقد أصبحت الوسيلة التي تساعدهم على فهم الإعجاز.

ونجد كذلك الجاحظ ذهب إلى قول عمرو بن عبيد عن البلاغة فقال: « أنها ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك »[3]. فتأثير القرآن واضح وكانت آياته البينات الشاهد البلاغي الرفيع له فإعجاز القرآن ينبغي أن يقوم على الإقناع بالحجة والبرهان، وعلم البلاغة هو الذي يقدم ذلك البرهان.

كما أن ابن خلدون انتهى إلى أن ثمرة علم البلاغة هي فهم إعجاز القرآن في قوله: «إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن لأن إعجازه وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة وصفها وهذا هو الإعجاز الذي نقصر الإفهام عن

---

(1) م.ن ، ص169.

(2) أبو هلال العسكري: الصناعتين، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 1989، ص2.

(3) ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ص114، نقلا عن أحمد مطلوب، كامل حسين البصير: البلاغة والتطبيق، ط2، 1999، ص18.

إدراكه»[1]. فقد كانت لمسألة إعجاز القرآن، أثر كبير في تطور البلاغة العربية فقد ارتبط بها منذ القديم وأصبحت كتب البلاغة سبيلا تفضي إلى رحاب القرآن ومعالم يهتدي بها الدارسون ويستعين بما فيها.

1_ اتساع مجال البلاغة:

ظهرت علوم البلاغة عند قدماء اليونان والرومان بوصفها مجموعة قواعد مساعدة على جعل الكلام قادرا على إقناع سامعه، وقد عرفت هذه البلاغة مجموعة من المراحل منذ نشأتها في اليونان ضمن فضاء سياسي، خطابي وديمقراطي، فقد انتقلت هذه البلاغة من فن الخطابة إلى فن الإقناع.

ويعبر أرسطو عن البلاغة بأنها: «فن استخلاص الإقناع وبناء الحجج وإنتاج الأشياء والتي تكون أولا ولا تكون وبالتالي فهي نظرة تقنية تواصلية»[2]. فالبلاغة عند أرسطو تتمثل وظيفتها في التأثير والإقناع وتقديم الحجج والأدلة وذلك بغية إقناع الجمهور السامع قصد توجيهه والتأثير فيها سلبا أو إيجابا.

ونظرا لشمولية البلاغة وتوسع معارفها وتنوع آلياتها الفنية والجمالية وتعدد معاييرها فقد كانت البلاغة مجالا صالحا لعرض ثقافات وعلوم مختلفة وشملت مجالات متعددة من بينها: الخطابة والشعر والحجاج.

تعتمد كل من البلاغة والخطابة على فن الإقناع والتأثير، فالخطابة هي «فن القول ويتمثل دورها في الإقناع والتأثير وتفترض وجود متكلم، فالخطيب هو الذي يقوم بإقناع الجماهير والتأثير فيهم »[3]. فالخطابة تلعب دورا هاما في الإقناع واستمالة المستمعين. وهذا بدخلها في باب المنطق واعتمادها على مزايا المتكلم بدفع للإهتمام بشخصية الخطيب، ومؤهلاته الجسمية والعقلية والخلقية.

وقد عرفها أرسطو بأنها: «قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة »[4]. فالخطابة هدفها توجيه الرأي وإقناع الجمهور، ويبدو أن اهتمام الفلاسفة والبلاغيين الغربيين ببلاغة الخطابة راجع إلى الدور الذي تلعبه في الإقناع وتوجيه الرأي.

واعتمد أرسطو في تصنيفه للخطابة اليونانية على حال المتلقي ثم نظر بعد ذلك إلى القضايا المحكوم فيها فكل خطبة حسب أرسطو تتألف من ثلاثة عناصر ألا وهي:[5]

1-الخطيب.

2-الموضوع الذي تتناوله.

3-الشخص الذي يوجه إليه الخطاب، أي السامع الذي يحيل إليه الغاية أو الهدف من الخطبة.

---

(1) عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، تح، دروش الجويدي، المكتبة العصرية، لبنان، 2002، ص552.

(2) محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة "بحث في بلاغة النقد المعاصر"، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان 2008، ص48.

(3) علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ط1، دار ومكتبة الهلال، لبنان، 1994، ص332.

(4) محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ط2، أفريقيا الشرق، المغرب،2002، ص18.

(5) ينظر: م- ن، ص38.

فهذه أبرز الأسس التي اعتمدها أرسطو في تصنيف الخطاب والخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما نستخرج الصحيح والراجح من كل موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع، وللخطابة أهمية كبيرة في حياة الشعوب إذ يعتبر وسيلة لتأثير في الشعوب وتوجيهها سياسيا واجتماعيا أو دينيا.

وقد عنى الجاحظ عناية كبيرة بهذا الفن وأعطاها اهتماما خاصا، إذ تعد الخطابة دعامة من دعائم الدعوة، فهو يرسم للخطابة أدبا يستحسن فيه أن يقتبس القرآن والشعر وبين ما ينبغي إتباعه في ضروب من الخطب وذلك في قوله: «وكان الأنبياء في طليعة الخطباء والبلغاء وكانوا يعتمدون على بيانهم وقدرتهم الخطابية لإقناع الناس وهديهم واستمالتهم»[1]. فقد اعتمد الجاحظ على الخطب الدينية في إرشاد الناس في توجيههم بغية التأثير فيهم ورشدهم ومن أبرز الخطب التي ذكرها خطب النبي صلى الله عليه وسلم في الوداع وكذلك خطب الخلفاء الراشدين.

إذ أصبح للخطيب مكانة مرموقة في المجتمع خاصة وأن في العصر الجاهلي كان الشاعر هو الذي يحتل الصدارة لكونه كان يراعي عاطفتهم ومآثرهم « فقد كان الشاعر هو الذي يحتل الصدارة لكونه كان يراعي عاطفتهم و ممآثرهم "فقد اتخذ الشعر وسيلة لتكسّب، واعتمد على الخيال والعاطفة في حين أن الخطابة أصبحت أكثر ملائمة في حياتهم المتحضرة، وتعتمد على الفكر والمنطق »[2]. فقد كان الشعر وسيلة من وسائل البيان ومعرضا من معارض البلاغة، كما أنه كان خير الوسائل لتخليد الإنتاج الفني.

2_ انفتاح الدين على الفلسفة:

تعد فرقة المعتزلة* من بين الفرق التي اهتمت بالعقل وأعطته أهمية كبيرة ومرتبة عالية باعتبار أن العقل هو أساس المعرفة وأصلها وهو سابق على الشرع وبه نستطيع التمييز بين الخير والشر والصواب والخطأ.

لقد أعطت المعتزلة للعقل منزلة كبيرة إذ ترى أن «العقل يستطيع أن يصل إلى كليات الأحكام المتصلة بالله وصفاته من التوحيد والعدل، ووجوب شكره، كما أنه يمكن أن يعرف الحسن والقبح على الجملة وتختص الشريعة بأنها تكشف له عن الطرائق التي يستطيع عن طريقها أن يؤدي هذه الواجبات العقلية، تختص الشريعة بأن يعرف العقل مقادير الطاعات كالصلاة والزكاة والصوم ومواقيتها »[3]. فعن طريق العقل يمكن معرفة الموجودات المحيطة حولنا، وبه نستطيع التمييز بين الصواب والخطأ، وترى المعتزلة أن الدليل العقلي أصلا والدليل الشرعي فرعا من الدليل العقلي.

([1]) علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص324.

([2]) م– ن: ص326.

* المعتزلة: جماعة مسلمة لها آراء خاصة في أمور العقيدة تقوم على إعمال العقل.

([3]) نصر حامد أبو زيد: الإتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، ط5، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2003، ص59.

ونجد أن الجاحظ من أشد المتأثرين بالفكر الاعتزالي، فهو من أبرز علماء الكلام المعتزلة في عقلنة الدين وذلك بالاستناد إلى العقل في فهم المواضيع الدينية ، إذ يرى أن الإنسان يتميز عن غيره من الكائنات الحيوانية بقدرته على التفكير،والاختبار وذلك بوجود العقل بقوله: «إن الفرق الذي بين الإنسان والبهيمة والإنسان والسبع، والحشرة، والذي صبر الإنسان إلى استحقاق قول الله عز وجل:"وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه" ليس هو الصورة وأنه خلق من نطفة وان أباه خلق من تراب ولا أنه يمشي على رجليه ويتناول حوائجه ببدنه»[1]. فالعقل وسيلة المعرفة، ففضائل العقل جليلة فهو يقف دوما وراء كل صواب أو خيرا بما ينويه الإنسان، فمن فضائله أن به فضل الله البشر على سائر المخلوقات، فالجاحظ، يرى أن المعرفة هي أساس العقل كما ربط العقل والمعرفة بالحاجة الإنسانية، إذ بواسطة العقل يمكن وجود الله وكذلك معرفة طريقة صنعه للموجودات والفائدة التي وجدت من أجلها وأهمية وجودها.

وتعتبر المعرفة ضرورة من ضروريات العقل البشري فعن طريقها يمكن معرفة الله الذي سخر له كل ما في العالم من جماد ونبات وحيوان لنستدل به ونستعين به في حياتنا، فالمعرفة هي أساس الوجود فهي ضرورة في الإجتماع البشري وبواسطتها يمكن التمييز بين الضار والنافع والقول بأن المعرفة فعل الله من شأنه أن يحل بمبدأ القدرة الإنسانية التي اعتبرها الجاحظ أساس وجود العقل والمعرفة[2].

فالعقل هو أداة التفكير لدى الإنسان فبواسطته يمكن معرفة الأشياء والظواهر فهو هبة من الله منح إياها دون سائر المخلوقات.

يمتاز الجاحظ بقدرة نادرة على الإبداع، والإبتكار في شتى العلوم والفنون وهذا ما جعل منه موسوعة ثقافية متنوعة عبر بها عن ثقافته وثقافة عصره، ويعد الجاحظ ممن برع في كتابة البلاغة والمؤسس لها وكان بذلك متأثرا بالعديد من الثقافات ولا سيما الثقافة اليونانية، كما تأثر بعلماء الكلام وكبار الفلاسفة.

كان الجاحظ متكلما جدلا وشيخا من شيوخ المعتزلة فقد عني عناية كبيرة بعلم الكلام، كما عنى بالمتكلمين، فقد جاء في رسائل الجاحظ حول علم الكلام قوله: « إنه لو لم يكن في المتكلمين من الفضل إلا أنهم قدروا إدبار الدنيا عن علم الكلام وإقبالها إلى الفتيا والأحكام وإجماع الرعية والراعي على إغناء المفتي وعلم الفتوى فرع و إطباقهم على حرمان المتكلم، وعلم الكلام أصل فلم يتركوا مع ذلك تكلفة وشحت نفوسهم عن ذلك الحظ مخافة إدخال الضيم على علم الأصل »[3]. يرى الجاحظ أن المتكلمين قد اهتموا بعلم الكلام وهو نفس، ما ذهب إليه الجاحظ حيث اهتم بعلم الكلام باعتباره علم يبحث في الدين والفلسفة ومن هنا برز تأثر الجاحظ بالمتكلمين.

---

(1) م.ن: ص51.

(2) ينظر: نصر حامد أبوزيد: الإتجاه العقلي في التفسير، ص51.

(3) http://www.maghress.com/alitthad/120020 الجاحظ: "رسالة الجاحظ حول علم الكلام"، سبتمبر 2003.

فقد كان للمتكلمين أثر في بلاغة الجاحظ ولا سيما فرقة المعتزلة التي استطاعت أن تمزج الثقافة العربية الأصيلة بغيرها من الثقافات، كما استطاعوا أن يتعمقوا في دراسة الفلسفة وما يتصل بها من المنطق حيث أعدوا الفلسفة أساسا مهما من أساس البيان ويصور الجاحظ ذلك بقوله: «لا يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام متمكنا في الصناعة يصلح للرياسة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة والعالم عندنا هو الذي يجمعها»[1]. وهذا ما جعل الجاحظ ينظر إلى البلاغة والبيان بفكر فلسفي ناضج، كما أنه ربط الدين بالفلسفة ربطا تاما.

وقد أعطى الجاحظ لعلم الكلام معنى واسع، فهو يعنى بالنظر في المسائل الدينية والفلسفية، ولهذا كان هذا العلم محو تفكير الجاحظ، ويقول فيه: «إن علم الكلام يبحث في الأسباب والعلل تماما كما حدد أرسطو الفلسفة بأنها معرفة الأسباب والعلل الأولى »[2]. فتأثر الجاحظ بفلسفة المعتزلة يبدو واضحا من خلال مزجه الدين بالفلسفة مزجا قويا إذ يصعب الفصل بينهما.

وجعل الجاحظ علم الكلام مرتبطا بالعديد من القضايا من بينها النظر إلى معرفة الله وإثباته والبرهنة على وجوده، كما تناول مظاهر الكون وما يدور حوله من نبات وجماد وحيوان، فالجاحظ لم يقصر علم الكلام على النظر في العدل والتوحيد، والوعد والوعيد، وإنما يمده إلى الطبيعيات لأنها تؤدي إلى معرفة الخالق الذي هو غاية كل معرفة، إذ يقول: «ألا ترى أن الجبل ليس بأدل على الله تعالى من الحصاة وليس الطاووس المستحسن بأدل على الله من الخنزير المستقبح والنار، والثلج وإن اختلفا في جهة البرد والسخونة فإنهما لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة»[3]. فالجاحظ ربط الدين بالفلسفة فغاية الجاحظ كانت دينية وهكذا يبدو أن علم الكلام عند الجاحظ، كان مرتبطا بالدين وبالكائنات التي تدل على وجودها وهذا جديد في ساحة الفكر العربي.

غير أن الجاحظ افترق عن سائر المعتزلة بآراء خاصة انفرد بها فقد تحدث الجاحظ، عن ذات الله وصفاته ومعرفته، وعلاقته بالإنسان والعالم، ففكرة الله هي الدعامة التي ترتكز عليها الديانات العالمية وبغير الله مثال الكمال الخلقي ولا يعتوه نقص ولا يشتمل على أية صفة قبيحة، وقد شدد الجاحظ كسائر المعتزل على عدل الله وعنايته بالبشر بحيث لا يريد لهم إلا الصلاح كما شدد على صدق الله في تنفيذ ما وعد به الصالحين من الثواب[4]. فالجاحظ يشيد على الصفات الجليلة التي يتميز بها الله ومن هنا يبرز اهتمامه الكبير بالدين وتعلقه به ومعرفته حول ما يدور فيه.

ويرى الجاحظ أن الإنسان يستطيع أن يعرف الخالق عن طريق عقله وذلك من جهة العبرة والدلالة لا من جهة الحسن والإحاطة، فالناس مكلفون دينيا بأن يؤمنوا بوجود الله ويقفوا عند هذا الحد ولم يكلف الإحاطة به

---

(1) الجاحظ: الحيوان، ج2، ص134.

(2) علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ط1، دار ومكتبة الهلال، لبنان، 1994، ص191.

(3) ينظر: الجاحظ: الحيوان، ج1، ص206، نقلا عن علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص156.

(4) ينظر : علي بوملحم: المناحي الفلسفية، ص206.

وبصفاته، فهناك صفات تضفيها على الله كالحياة والموت والحكمة والجودة وهي صفات إقرار وتثبيت وليست صفات إحاطة فنحن نعلم أنه حكيم ولا نحيط بكنه ذلك، كما يدعو الجاحظ العقل البشري إلى الكف عن البحث في ماهية الله لأنه عاجز عن معرفتها والإكتفاء بالإقرار بوجوده فقط [1]. ومن هنا يبرز لنا أن الجاحظ قد حاول أن يفلسف هذه الأفكار ونظر إليها على ضوء العقل.

كما اهتم الجاحظ كذلك بمسألة النبوة وهي من بين المسائل التي اهتم بها علم الكلام وذلك لأن النبي هو صلة الوصل بين الله والإنسان فهو الذي يتلقى من الله الوحي وينقله إلى الناس ويعتبر الجاحظ النبي محمد إنسانا، كسائر الناس لا يختلف إلا بحمل الرسالة وبالكمال الخلقي، وبالحكمة كما عد الصفات التي تيمز بها النبي من زهد وتسامح وهذه الصفات تميزه وحده وبها يختلف عن سائر الناس[2].

وقد عد الجاحظ النبي مثالا للبلاغة لأنه قل عدد حروفه، وكثرت معانيه وجل عن الصنعة وهجر الغريب، والوحشي ورغب عن الهجين، والسوقي، فلم ينطق النبي إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حق بالعصمة وشد بالتأييد ويسر بالتوفيق [3]. وبهذا يؤكد الجاحظ على أن كلام النبي كان قليلا لكنه مقنعا ومؤثرا، فنموذج النبي مثال حي عن مواصفات الإنسان البليغ حسب الجاحظ.

كما بحث في موضوع الإمامة وضرورة وجود الإمام وطريقة إقامته، وتعد الإمامة من أهم الموضوعات في علم الكلام وتعتبر سببا رئيسيا من أسباب نشوء الفرق الكلامية والمذاهب الفكرية، ونجد الجاحظ قد استعمل كلمة الإمامة في كثير من المواضيع منها قوله: «اتخذوا كتاب الله إماما وارضوا به حكما واجعلوه قائدا»[4]. فالإمام هنا هو كتاب الله إذ اتخذوه القدرة والحكم والقائد.

فالإمامة لها مواضيع مختلفة منها الإمام الذي يصلي بالمصلين وجاء في قوله: «إذا انتقل الإمام من الصلاة فصادف زحاما ومسجدا منشورا بالبواري (....) وإذا الإمام شبح ضعيف فلما صلى استدبر المحراب ومجلس في زاوية منه يسبح»[5]. فقد انطلق الجاحظ من فكرة أساسية هي أن الناس بحاجة إلى إمام يعرفهم مصالحهم الدينية والدنيوية فهو في رأيه أن الناس عاجزون عن إدراك مصالحهم بأنفسهم.

كما اهتم الجاحظ كذلك بنظرية المعرفة باعتبارها العلم بالشيء حيث تتناول الظواهر والأفاعيل التي تصدر عن الكائنات الجامدة، والحية فقد عبر الجاحظ بذلك بقوله: «ولم نعرف العقل عدمه ونقصانه وإفادته، وأقدرا معارف الحيوان، إلا بما يظهر منها وبتلك الأدلة عرفنا فرق ما بين الحي والميت وبين الجماد والحيوان »[6]. فالمعرفة هي ملكة طبيعته موجودة في الإنسان فهي التي تقودنا إلى معرفة الحقائق والتمييز بين الأشياء والتفريق بينها .

---

(1) ينظر: م.س، ج1،ص207.

(2) ينظر: الجاحظ : الحيوان ،ج1، ص216.

(3) ينظر: م .ن، ص217.

(4) عليوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص226.

(5)الجاحظ: الحيوان، ج3، ص24.

(6) الجاحظ: الحيوان،ج4، ص82.

وقد جعل الجاحظ المعرفة نوعان: معرفة حسية ومعرفة عقلية، فالمعرفة الحسية تتمثل في الحواس الخمس التي تحيط بجميع الكائنات في العالم، والمعرفة العقلية تكون عن طريق العقل، كما أنه جعل المعرفة العقلية أرقى من المعرفة الحسية، إذ أنه ينصح المرء بأن يرتفع من معرفة الحواس إلى معرفة العقول وهذا لا يعني الاستغناء عن المعرفة الحسية فعن طريقها يستطيع الإنسان أن يميز بين الضار، والنافع [1]. فمعرفة الصواب تكون عن طريق إحكام العقل، ومع ذلك يبقى للعقل مهمة الحكم والتمييز .

ويرى الجاحظ أن للمعرفة طرق عديدة ومختلفة إذ نجده قد سلك معظمها في مساره الفكرة ومن أهمها: الشك، والمنطق، والتجربة، والسماع، والعيان، وتداعي الأفكار والإلهام والتلقين [2].

3_ البعد الأنطولوجي والمعرفي في خطاب الجاحظ:

تتداخل علوم ومعارف كثيرة فتتبادل فيما بينها التأثير والتأثر، ويغذي بعضها بعضا وذلك ما وقع بين العديد العلوم وقع بين الفلسفة والبلاغة.

تعد الفلسفة أم العلوم باعتبارها تناقش قضايا الإنسان والطبيعة والكون والدين فهي: «النشاط الذي يسعى فيه الناس إلى فهم طبيعة الكون وطبيعة أنفسهم، والعلاقات بين هذين العنصرين الأساسيين في تجربتنا وهكذا تكون الفلسفة بحثا منظما عن المعرفة يقوم به عن طريق التفكير المنظم»[3]. يبدو أن الفلسفة كتفكير ليست بالبعيدة عن حياة الإنسان بل إنها شيء مرتبط بالحياة اليومية، كما أنها تقوم بالبحث في طبيعة الوجود ومظاهر الكون، إذ أنها تعتمد في دراستها على البرهنة والمحجاجة.

ومن بين المصطلحات المرادفة للفلسفة مصطلح الأنطولوجيا الذي يعني بكل ما هو موجود فهي تعني: «الوجود مقابل للعدم، وهو بديهي فلا يحتاج إلى تعريف إلا من حيث أنه مدلول للفظ دون آخر فيعرف تعريفا لفظيا يفيد فهمه من ذلك اللفظ لا تصوره في نفسه مثال»[4]. فالأنطولوجيا هي العلم الذي يهتم بموضوع الوجود لكونه الشيء الحاصل في النفس فوجوده إذن بذاته متقل عن كونه معلوما.

«فالوجود صار يطلق على كل بحث فيه علم الوجود أو الأنطولوجيا وهو قسم من الفلسفة يبحث عن الوجود في ذاته مستقلا عن أحواله وظواهره»[5]. فكل من الأنطولوجيا وعلم الموجودات يهتم بالوجود المطلق فهو معيار يستند على العقل في الحكم على الوجود.

كما ارتبطت الفلسفة بمصطلح الأبستمولوجيا الذي يعني بالمعرفة فهي: «علم المعرفة وهي بهذا المعنى الواسع تشمل أساسا تاريخ العلوم الذي يصف السيرورة التاريخية للبناء العلمي للمؤسسة العلمية **ولمعرفة العلماء**

([1]) **علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص237.**

([2]) **ينظر: م .ن، ص238.**

([3]) **هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، تر: فؤاد زكريا، مكتبة مصر،1969، ص30.**

([4]) **محمد شطوطي: المدخل إلى الفلسفة العامة، دار طليطلة، الجزائر، 2009، ص89.**

([5]) **محمد شطوطي :مدخل الى علم الفلسفة العامة، ص91.**

، كما يشمل فلسفة العلوم التي تهدف إلى بناء الإطار المفهومي للنماذج العلمية وتحديد أهداف و نتائج معرفة العالم وتسليط الضوء على الشروط الفلسفية لعلم ما »[1]. إذن الأبستمولوجيا هي فلسفة العلوم إذ أنها تهتم بالمعرفة في تنوع العلوم والموضوعات فالمعرفة الصحيحة تكون عن طريق العقل والتجربة، فقد فتحت الفلسفة بابا واسعا أمام الأبستمولوجيا التي قدمت نفسها كفلسفة جديدة لعلوم بديلة عنها.

وقد اهتم الجاحظ كثيرا بالبعد الأنطولوجي وهذا ما نلمسه في تفسيره لبلاغة الموجودات وكذلك في التقسيمات المنطقية للحيوان ودراسته للطبيعة في مختلف ظواهرها من جماد نبات وحيوان.

نظر الجاحظ إلى الطبيعة نظرة موضوعية فهي تسير وفق قانون العلة والمعلول وبين: «أن الفروع لا محالة راجعة إلى أصولها والإعجاز لاحقة لصدورها والموالي تبع لأوليائها وأمور العالم ممزوجة بالمشاكلة ومنفردة بالمضادة وبعضها علة لبعض كالغيث علة السحاب ، والسحاب علة الماء والرطوبة، وكان الحب علة الزرع والزرع علة الحب والدجاجة علة البيضة والبيضة علتها الدجاجة والإنسان وعلة الإنسان »[2]. فكل الموجودات وجدت لغاية معينة ووفق مقدرا معين حتى يحصل هناك توازن حيث أن لكل سبب مسبباته فهذه الموجودات تدل على الوجود وعلى بلاغة الصانع على صناعة هذه الموجودات، إذ أن هذه الموجودات مكملة لبعضها البعض كالغيث والسحاب والماء وغيرها.

ومن جهة أخرى فقد قسم الجاحظ الكائنات إلى قسمين وأطلق اسم الجامد على كل ما هو ليس بنام في قوله: «تنقسم الأجسام إلى قسمين منها التام والغير تام والناس يسمون الأرض جمادا وإذا لم تنبت شيئا يسمونها جمادا ولا يجعلون من الماء النار والهواء جمادا ولا مواتا ولا حيوانا على الرغم من خلوهما من النماء والحس »[3]. فالماء والهواء والنار عناصر طبيعية وهي كينونات وجودية تدل على بلاغة الخالق وقدرته على الخلق فهي علامات على الوجود على الرغم من أن لا حياة فيها، فهي عبارة عن جماد ومع هذا كله فلها غاية من وجودها في هذا الكون ولها دلالتها أيضا.

وقد حددت في هذا الكون موجودات عدية تثبت وجوده فهذه الموجودات علامات على وجود الله وحكمته ومن الكائنات التي أثارها نذكر منها: الطير، الأفاعي، النحل ، الثعابين، القنافذ، السباع، السلحفاة، الجرذان، النمل، البعوض....وغيرها فكل هذه الموجودات وجدت وفق نظام معين ستسير عليه كما أنها وجدت لغايات مختلفة.

فتحدث الجاحظ مطولا عن هذه الموجودات وبرر سبب وجودها ويبرز ذلك في قوله: «إن للطير منطقا تتفاهم به حاجات بعضها البعض ولا حاجة لها إلا أن يكون لها في منطقها فضل لا تحتاج إلى استعماله وكذلك

([1]) **طلعت الأخرس: الأبستمولوجيا: نحو فلسفة جديدة للعوم، مجلة فصلية، العدد التاسع، ط1، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان،2010، ص25.**

([2]) **علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص135.**

([3]) **ينظر: الجاحظ: الحيوان، ج1، ص26-27.**

معانيها في مقادير حاجاتها »[1]. فلهذه الموجودات لغة خاصة تتفاهم فيما بينها، كما أنها وجدت لغايات معينة ولها هدف من وجودها، فكل هذه الموجودات وجدت وفق مقادير وذلك حتى يكون توازن في الكون ولا يكون هناك اختلال.

يذكر الجاحظ الحيوانات وبعدها أنواع وأجناس مختلفة فمنها المتوحشة والأليفة والخبيثة واللطيفة وقد جاء في قول الجاحظ: «ما بلغ قدر الكلب مع لؤم أصله وخبث طبعه وسقوط قدره ومهانة نفسه ومع قلة خيره وكثرة شره واجتماع الأمم كلها على استسفاطهواستفساله له ومع ضربهم المثل في ذلك كله به ومع حاله التي يعرف بها »[2].

فقد وجدت هذه الموجودات على الرغم من خبثها ومكرها وذلك حتى يكون هذا الكون متوازن ما بين الخير والشر والمستحسن والمستقبح وهذا ما يثبت إعجاز الخالق وقدرته على التدبر في الأمور.

يقال بأن الإنسان حيوان ناطق فهناك صفات تشابه كثيرة ما بين الإنسان والحيوان على غرار الطبع والمظهر والحركات وحتى في السلوك.

وقد أورد الجاحظ تشابها بين ظاهر الإنسان وباطنه مع الكلب والقرد على التدريب بقوله: «وقد عرفت شبه باطن الكلب بباطن الإنسان، وشبه ظاهر القرد بظاهر الإنسان،ترى ذلك في طرفة وتغميض عينه وفي ضحكه وفي حكايته وفي كفه وأصابعه، وفي رفعها ووضعها وكيف يتناول بها، وكيف يجهز اللقمة إلى فيه وكيف يكسر الجوز ويستخرج لبه، وكيف يلقن ما أخذ به وأعيد إليه وأنه من جميع الحيوان إذا سقط في الماء غرق مثل الإنسان ومع اجتماع أسباب المعرفة يغرق إلى أن يكتسب معرفة السباحة »[3]. فالجاحظ يرى أن الإنسان والحيوان يتشابهان في المظهر والحركات وحتى في التعلم.

ويقر الجاحظ بمبدأ الغريزة التي تسيطر على سلوك الحيوان وتسيره وهي طبع فطر عليه فالغريزة هي التي ترشد الحيوان إلى ما فيه منفعته في حين أن الإنسان فالعقل هو الذي يرشده إلى الطريق المستقيم ويقول الجاحظ:"وإذا كان الإنسان يبلغ بالروية والتصفح والتحصيل والتمثيل ما لا يبلغه شيء من السباع والبهائم فإن لها أمورا تدركها وصفة تحذقها تبلغ منها بالطبائع سهوا وهويا ما يبلغ الإنسان فيما هو سبيله إلا أن يكره نفسه على التفكير وعلى إدامة التنقير والتكشيف و المقاييس »[4]. فالناس يختلفون في سلوكهم وطبائعهم وهذا ما نجده عند الحيوانات فهي أيضا تختلف في طبائعها، فبالرغم من سيطرة الغريزة على سلوك الحيوانات فإنها قابلة للتعلم كالإنسان، إذ يشترك الإنسان والحيوان في القدرة على بلوغ الغايات ، فالحيوان يكتسبها بالغريزة والإنسان بالروية والتفحص والعقل .

([1]) الجاحظ: الحيوان، ج7، ص56.

([2]) م.ن: ج1، ص102.

([3]) الجاحظ: الحيوان، ج1، ص215محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والادبية عند الجاحظ.

([4]) علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص160.

كما استخدم البعد الانطولوجي والمعرفي في المنطق وذلك يتجلى من خلال تقسيمه للحيوانات، إذ بعد كتاب الحيوان للجاحظ من أضخم كتبه فهو يحتوي على دائرة معارف واسعة الأفق وكان هدفه الأساسي من هذا الكتاب إظهار عظمة الخالق بدراسة المخلوق فمواضيعه كثيرة ومتنوعة فقد تحدث فيه عن المعارف الطبيعية و المسائل الفلسفية وكتب في طبائع الحيوان وغرائزه، كما اهتم بدراسة الطبيعة في مختلف ظواهرها من جماد ونبات وحيوان وإنسان.

ونجد بأن أرسطو هو أول من اهتم بالحيوان ووضع كتاب فيه إذ حاول أرسطو أن يضع تصنيفا للحيوانات في مطلع كتابه إذ أنه: «قسم الحيوانات إلى قسمين : قسم فيه دم وقسم ليس فيه دم ولكنه لا يتقيد بهذا التقسيم ويلتمس تصنيفا آخر يعتمد على تدبير المعاش والأفعال بالغذاء وعلى هذا الأساس يقسم الحيوانات إلى مائية وبرية وإلى طيارة وزحافة ومشاءة كما يقسمها إلى فئة تعيش جماعات وأخرى تعيش منفردة وإلى نوع يأكل الحبوب ونون يأكل الكلاء وإلى ما يتخذ مأوى وإلى حيوانات أنيسة تعيش مع الإنسان وحيوانات وحشية»[1]. فالحيوانات أجناس وأنواع مختلفة ويتجلى المنطق في تصنيف الحيوانات إلى مائية وبرية وإلى طيارة وزحافة ومشاءة وتكون هذه المعرفة عن طريق العقل فهي أشياء بديهية يمكن تمييزها والتفريق بينها منطقيا وهذا يكون بواسطة العقل.

وقد سار الجاحظ على نفس طريقة أرسطو في تقسيم الحيوانات فهو قد أولى اهتماما كبيرا بالحيوان وجعلها أجناسا وأنواعا مختلفة في قوله: «الحيوانات على أربعة أقسام: قسم يمشي وقسم يطير وقسم يسبح وقسم يزحف على بطنه والنوع الذي يمشي ينقسم بدوره على أربع أقسام: ناس وبهائم وسباع وحشرات والنوع الذي يطير ينقسم إلى ثلاثة أقسام: السبع و البهيمة والهمج والسبع من الطير ولكنه يطير» [2]. وهذا ما يدل على كلامه عن الحيوانات على أن حكمة الله تتجلى في تكوينه وتشكل دليلا قويا على قدرة الخالق وإبداعه كما أنها تدل على حكمة الله العجيبة وقدرته الناذرة.

ويتجلى المنطق في تقسيم الجاحظ لهذه الحيوانات فمنطقيا نحن نعلم أن هذا يمشي وذاك يزحف وآخر يطير، فهناك أشياء يمكن معرفتها منطقيا وهذه المعرفة تكون من خلال إعمال العقل.

4_ الأنطولوجيا والبلاغة في خطاب الجاحظ:

نظرا لأهمية البلاغة عند الجاحظ نجده قد ربطها بمجالات متعددة من بينها الشعر والخطابة والحجاج كما ربطها بالانطولوجيا وذلك من خلال بلاغة الموجودات، فالبلاغة انفتحت مع الجاحظ انفتاحا كبيرا وأصبحت واسعة المجالات.

ويعد الجاحظ من بين الأوائل الذين اهتموا ببلاغة الفنون المختلفة من بينها الخطابة سواء النثرية أو المكتوبة فقد أعطاها منزلة رفيعة بين الفنون إذ جعلها منفتحة على الحجاج وذلك لما في الخطابة من تأثير وإقناع حيث

---

(1) علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص153.

(2) الجاحظ: الحيوان، ج1، ص27-31.

يقوم الخطيب بتقديم الحجج بغية التأثير في الجمهور إذ أن: «الخطابة هي الإطار المثالي الذي تتجلى فيه البلاغة النثرية»[1]. فكل من الخطابة والبلاغة يعتمدان على الإقناع كما أنهما يقدمان الحجج بغية التأثير في الناس.

إذ أن الجاحظ كان يربط بين البلاغة والخطابة نظرا للتداخل الواقع بينهما حتى أنه أحيانا يتحدث عن الخطابة ولكن السياق يقتضي البلاغة" إن كل خطابة بلاغة وليست كل بلاغة خطابة أو أن البلاغة جنس والخطابة نوع»[2]. فقد اختلطت البلاغة بالخطابة وأصبحت الخطابة تمثل أعلى صورة البلاغة.

ونجد الجاحظ في تعابيره العادية لم يفرق تقديم الخطابة والخطيب على البلاغة والبليغ كلما اجتمعا في سياق واحد في قوله: «وإذا صرنا إلى ذكر ما يحضرنا من تسمية خطباء بني هاشم وبلغاء رجال القبائل »[3]. وهذا ما بينه لنا على أن الجاحظ لم يفرق بين البلاغة والخطابة وجعلهما مترابطين كما انه اهتم كثيرا بالخطباء مثل اهتمامه بالبلغاء.

وقد استخدم الجاحظ العديد من التقنيات حتى يتمكن من إقناع المستمعين حيث أنها استعمل فن الخطابة كآلية من آليات الحجاج حيث أن: «الاقتناع يمكن أن يتم بواسطة السامعين إذ كانت حين نكون مغمومين ومعادين (....) فالإقناع يحدث عن الكلام نفسه إذ أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة»[4]. فالخطابة المقنعة هي التي تقوم على الحجج وهذا ما نجده في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم التي كان يلقيها في الكافرين حتى يؤثر فيهم وإقناعهم على الدخول في الإسلام، أو ما نجده كذلك في الخطب السياسية.

---

(1) محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص229.

(2) محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص229.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين، ص91.

(4) محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص25.

خاتمة الفصل الأول:

نستنتج في فصل البلاغة إلى أن البلاغة عرفت تطورا و ازدهارا كثيرا في عصر الجاحظ، حيث ساهم في إثراء الدرس البلاغي، حيث أنها عرفت توسعا في فنون عديدة.

كما ارتبطت البلاغة بعلوم عديدة من بينها الفلسفة و هذا نظرا للانفتاح الثقافة العربي على غيرها من الثقافات الأخرى، و هذا ما نجده عند الجاحظ من خلال فكرة الاعتزالي و استناده إلى العقل في فهم المواضع، فبلاغة الجاحظ تعدت إلى تحدثه عن بلاغة الموجودات و كذلك في تقسيمه للحيوانات.

الفصل الثاني

المبحث الأول:

مفهوم الصناعة في النقد العربي القديم.

1_لغة:

ورد في لسان العرب لفظ "صَنَعَ" على شكل هيئات اشتقاقية متعدّدة: صنع، الاصطناع والصناعة، صنيع، والمصانعة، فقد جاء هذا اللفظ بمعنى العمل والإتقان والحذق كقوله: «صَنَعَ: صَنَعَهُ صُنْعًا فَهُوَ مَصْنُوعٌ وَصُنْعٌ: عَمَلَهُ، واصطنعه: اتخذه، أمَّا الاصطناعْ: افتعال من الصنيعة وهي العَطية والكَرامة والإحسان واصْطَنَعَ فُلان خاتما إذا سأل رجلا أن يصْنَعَ له خاتمًا واسْتَصْنَعَ الشيء: دَقا إلى صُنْعِهِ والصناعةُ حرفة والصانع وعَمَلَهَ الصَنْعَة وما تَسْتَصْنِعُ من أمر وصنيْعُ اليدين أي صانع حاذق والمصانعة أن تَصْنَعَ له شيئًا ليَصْنَعَ لك شيئًا آخر»[1]. فالصناعة حرفة تتقنها يدي الصانع ليصنع خاتما أو شيئا آخر يظهر فيه اتقانه ومهارته في هذه الصناعة أو الحرفة.

ويتفق المعنى المعجمي الوارد في معجم العين مع سابقة في أن الصناعة متعلقة بعمل اليدين إذ يقول: «صَنَعَ: يَصْنَعُ صُنْعًا، وما أحْسَنَ الله عنْده وصَنيعُه، والصُناعُ: الذين يعملون بأيديهم، والصَنيعَةُ ما اصطنعت من خير إلى غيرك، والمصنعة شِبْهُ صهريج عميق تتخذ للماء والمصَانعُ: ما يصنعه العباد من الأبنية والآبار والأشياء والصناعة خشب يتحن في الماء ليحبس به الماء أو يسوي به، ليمسكه حينا والأصناع: جمع الصّنع وهو مثل الصّناع أيضا خشب لمستنقع الماء »[2].فالخشب صناعة يقوم الصانع بتحويلها وتغييرها من مادته الخام إلى أشياء مختلفة يستعملها الناس في حياتهم اليومية، فالحرفة إذن تمكن في أيدي الصّناع الذين يتقنون هذه الحرفة عن طريق التعلم وبذل الجهد وكذلك محاولة الصانع تجسيد أفكاره عن طريق عمل اليدين.

كما جاءت لفظة صَنَعَ في عدة مواضع من القرآن الكريم، فمنها ما جاء مرتبطا بفعل التعليم وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾[المؤمنون27]، فهذه الآية الكريمة تدل على أن الله أوحى إلى نوح كيفية صنع الفلم أي علم طريقة صنعه وإنجازه، أما صَنَعَ في الآية التالية فيدل على فعل الانجاز للفلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُون ﴾[هود38] وفي موضوع آخر جاءت لفظة صَنَعَ بمعنى دلاليا جديدا يختلف عن السياق المعنوي السابق إذ تتضمن معنى الفعل والعمل ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[هود 16]، وأيضا جاءت في سورة الكهف آية تعبر فيها لفظة صنع عن العمل وذلك في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

([1]) ابن منظور: لسان العرب، مج 2، مادة "صَ نَ عَ" ص 291– 292.

([2]) الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين: تح: عبد الحميد الهنداوي، ط1، دار الكتب العلمية لبنان، 2003، ج2، مادة "صَ، نَ، عَ"، ص 417– 418.

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف 104]، فهذه الآيات القرآنية تضيف بعدا معنويا للصناعة لأن العمل قد يكون ماديا أو معنويا.

ومن جهته أيضا يرى الزمخشري في كتابه أساس البلاغة أن الصناعة تتعلق بامتلاك القدرة والمهارة في العمل وذلك في قـوله: «صَنَعَ وهو صَانِعُ من الصّـناع مَاهِرٌ في صناعته، وقوله تعالى: "وتتخـذون مصانع": قصورا ومـدائن، والعرب تسمي القرية والقصر مصنعه »[1] ويؤكد معجم الوسيط على امتلاك المهارة في حرفة ما ليطلق صفة الصانع على صاحبها «فالصناعة حرفة الصانع وكل علم أو فن مارسه الإنسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له»[2].فالصناعة عند هؤلاء جاءت متصلة ومرتبطة بالعمل وكسب المهارة التي تمكن الصانع من الإحاطة بحرفته والحذق فيها.

2- اصطلاحا:

الصناعة مهارة مكتسبة يهدف الصانع إلى انجاز الشيء المصنوع بإتقان إذ تمثل طاقة موجودة بالقوة في ذهن الإنسان يخرجها بكثرة التعلم والممارسة التي تجعل منها حرفة لها، قوانينها وأصولها التي تستند إليها، وأفضل إحاطة لهذا المصطلح نجده عند أبو هلال العسكري الذي اهتم بفن الصناعة حتى أنّه عنون مؤلفا له بالصناعتين والذي خصص فيه بابا كاملا يتحدّث فيه عن صنعة الكلام وترتيب الألفاظ وقسمه بدوره إلى فصلين، إذ يقول في بداية الفصل الأول: «إذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك وتنوق له كرائم اللفظ واجعلهما على ذكر منك ليقرب عليك تناولها ولا يتعبك تطلبها، واعمله مادمت في شباب نشاطك، فإذا غشيك الفتور وَتَخَوَّنَكَ الْمِلاَلُ فأمسك فإن الكثير مع الملال قليل، والنفس مع الضجر خسيس والخواطر كالينابيع يُسقى منها شيء بعد شيء»[3].

فقد اعتبر الكلام صناعة شانها شأن الصناعات الأخرى يحتاج إلى فعل التعلم وحسن الضبط والاختيار للألفاظ التي تناسب كل مقام حتى لا يقع الصانع أثناء صنعه للكلام في اختلاف بين الكلمة ومدلولها، إذ ينبغي لصانع الكلام أن يكون له القدرة على التفريق بين الكلام فلا يتبع خفيفةوهزيلة وأعجفه وأهجنه وان يبتعد عن التعقيد الذي يستهلك المعاني، فأبو هلال العسكري في كتابه هذا حاول تقديم توجيهات وتعليمات لصانع الكلام حتى يتجنب الوقوع في أخطاء تفسد صناعته وتخفي جمال ألفاظه بالابتعاد عن معانيها لأنه إذا ضاع أول كل أمر نصب إعجازه وقل غناؤه.

ويجمل المعجم الأدبي تعريف الصناعة فيما يلي:[4]

([1]) **الزمخشري: أساس البلاغة مادة "صَ، نَ، عَ" ص 560.**

([2]) **مجمع اللغة العربية :معجم الوسيط ،تح ،ابراهيم مصطفى وآخرون ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ج1، مادة "صَ، نَ، عَ"، ص 526.**

([3]) **أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص 89.**

([4]) **ينظر: جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ط2، دار العلم للملايين، لبنان، 1984، ص 158– 159.**

1. تتعلق الصناعة بفن المهارة في مجال ما لتصبح حرفة في يد الإنسان.

2. تكتسب مهارة صناعة الشعر بدءًا بالتقلب وتحصيل العلوم الكثيرة لينتهي بأسلوب خاص ومعروفا به.

3. صناعة الكلام تتطلب العناء والجهد المبذول في إخراج الألفاظ المرفقة بمعاني أخيلة تظهر الأثر الفني في العبارة.

فالمرء حتى يكون صانعا للأدب والشعر قادرا على تأليف الكلام عليه بالعناء وبذل الجهد لأن حرفة الكتابة التي يقوم بها صانع الكلام تحتاج إلى حسن التعلم والقدرة على تخييل الأشياء ومحاكاتها بالتعبير عنها باستعمال الألفاظ والعبارات، فصناعة الكلام ليست حرفة يدوية بل تتعدّاها إلى قضية الإبداع الفني وقدرة الصانع على صوغ أفكاره بمهارة وحرفية.

ويربط الناقد العربي قدامة بن جعفر للشعر بصناعة غايته الجـودة والإتقان إذ يقول: «ولما كانت لشعـر صناعة، وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان أحدهما غاية الجودة والآخر غاية الرداءة وحدوده بينهما تسمى الوسائط»[1].فالكتابة صناعة وسيلتها الألفاظ التي تستعمل في تأليف نصوص نثرية أو شعرية فهي تشبه الصناعات الأخرى، إذ يمكن في هذه الصناعة تحديد شروط جودة الشعر من خلال تمييز الألفاظ وكيفية استعمالها وأيضا مظاهر الرداءة ممكنا شأن الصناعات الأخرى.

وعالج ابن طباطبا العلوي أيضا مصطلح الصناعة في كتابه "عيار الشعر" فخصص فيه فصلا تحت عنوان "صناعة الشعر" حيث قدم تعليمات لصانع الشعر أثناء القيام بهذه الصناعة فيقول: «فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد به الشعر عليه في فكره نثرا، وأعدله ما يلبسُهُ إياه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه، أثبته، واعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه »[2]فالبناء صناعة يقوم بها البَنَاءُ وهي تظهر من خلال البيوت والمساجد وغيرها من المباني كذلك بالنسبة للشاعر الذي يقوم بكتابة قصيدته وبناءها وذلك بترتيب أبياتها وملائمة وزنها وقوافيها مع الألفاظ، فهي إذن تشبه الجدار الذي تكون فيه المستعملة في بنائه منظمة ومستوية.

أما عبد القاهر الجرجاني في كتابه التعريفات فأشار إلى الملكة الفردية التي تسبق العلم، إذ أنها موجودة بداخل الإنسان، أمّا العلم فيبين ويظهر طريقة العمل فيقول: «الصناعة ملكة نفسانية يصدر عنها الأفعال الاختيارية من غير روية وقيل العلم المتعلق بكيفية العمل»[3]ويتضح من هذا القول أن كل إنسان له صناعة خاصة

(1) أبي فرج قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 64.

(2) محمد أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1982، ص 11.

(3) عبد القادر الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، لبنان، 1985، ص 140.

به، لكن هذه الصناعة تحتاج إل علم لتطويرها وإظهارها كحرفة يزاولها الصانع بمهارة وإبداع فالصناعة إذن تنبع من داخل الصانع.

كما تناول الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة قضية اللفظ والمعنى، فصناعة الكلام عنده لا يَقوم عل ى اللفظ و المعنى وحده وإنّما بالجمع بينهما فالتباعد بين اللفظ والمعنى يخلق الهذيان حيث يقول: «الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنّك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق وأبطل ت نضده ونظامه الذي عليه بني وفيه أفرغ المعنى وأجري وغيرت ترتيبه الذي بخوصصته أفاد ما أفاد (...) أخرجته من كمال البيان »[1]. فإذا نزعت العلاقة التي تربط اللفظ بالمعنى وفضلت أحد على الآخر كأنك قطعت الرحم بينه وبين منشئه فالصناعة تحتاج إلى اللفظ والمعنى معًا فالألفاظ ترتب على المعاني المرتبة في النفس لأنها خدم للمعاني والمصرفة في حكمها ومن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته وفي ذلك فتح للأبواب على العيب والتعرض للشين[2]. فالكلام يتكون من ألفاظ حلوة ورشيقة وحسنة وأنيقة ومن معاني تقع في الفؤاد فتسحره وتعطل قوى الخواطر والأفكار، فالكلام صناعة جوهره اللفظ والمعنى.

3- الصناعة / الصنعة:

إن مصطلح الطبع والصنعة من المفاهيم النقدية والبلاغية التي رافقت عملية الإبداع الشعري وحاولت تحديد معالمها وضبط أسسها، وأصبح هذين المصطلحين وسيلة النقد وغايته في الحكم على الشعر من حيث جودته ورداءته«فالطبع هو السجية إلى جبل الإنسان»[3].

فالملاحظ أن المصطلحين لها أبعاد دلالية مختلفة من ناقد إلى آخر وذلك حسب الخلفية التي ينطلق منها التأسيس فكرة وبناء نظريته، حيث نجد ابن رشيق في كتابه النقدي "العمدة" وله أهمية كبيرة سواء في ميدان النقد أو البلاغة حيث خصص بابا كاملا يتحدّث فيه عن الشعر المطبوع والمصنوع لكنه لم يقدّم أو يضع أي تَعْرِيفْ يخص هذين المصطلحين إلا أنّه ربط بينهما فيقول: «ومن الشعر مطبوع ومصنوع، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولا وعليه المدار والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفا تكلف أشعار المولدين لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمّل، لكن بطباع القوم عفوا، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره »[4]. جمع ابن رشيق بين الطبع والصنعة، فالصنعة عنده هي ما يقوم به الصانع بل إخراج شعره من تعلم ومحاولة للتثقيف وبذل الجهد حتى يكون نصه حسنا ومزينا إذْ ضرب مثلا بزهير الذي:

([1]) عبد القادر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ص 4.

([2])ينظر: م.ن، ص 8.

([3]) محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث العربي، دار الشرق العربي، لبنان، ص 224.

([4]) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط5، دار الجبل، لبنان، ج1، 1987، ص 129.

«صنع الحوليات على وجه التنقيح والتقييف: يصنع القصيدة ثم يركز نظره خوفا من التعقب »[1]. وقد قسم الشعراء إلى شاعر مطبوع ومصنو ع، فيضع البحتري في قائمة الطبع أما أبي تمام في قائمة الصنعة كما يرى أنّ الصنعة مستحبة إذا لم يكن فيها تكلف وتصنع لأنها تصبح مستكرهة، فمصطلح التصنع هو من بين الاشتقاقات اللغوية لمصطلح الصناعة ويقصد به افتعال الصناعة. و «الصيغة الصرفية لـ "تَفَعَّلَ" (ت ص نّ ع) من نقل المجرّد الثلاثي إلى وزن المزيد وهي تكلف الصنعة من الفاعل لتحصيل أو إظهار ما ليس في الشيء بالطّبع »[2]ولكن عندما ننظر في مصطلح التصنع نجده مرادفًا للتكلف وهذا الخير هو نقيض الصناعة التي فيها جمال ورونق وفي التكلف فصورٌ وقبحٌ.

كما تكلم ابن رشيق عن قضية اللفظ والمعنى فجعل المعاني موجودة في طبائع الناس حيث يتساوى فيها كل من العالم والجاهل، في حين ربط الصناعة باللّفظ إذ يقول: «وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى سمعت بعض الحذاق يقول: قال العلماء: اللفظ أغلى المعنى ثمنا، وأعظم قيمة وأعز مطلبا، فإن المعاني موجودة في طباع الناس، يستوي الجاهل فيها والحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحّة التأليف ألا ترى لو أن رجلا أراد في المدح تشبيه رجل لها أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر وفي الإقدام بالأسد، وفي المنضاء بالسيف...فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلالها من اللفظ الجيّد الجامع للرقة والجزالة لم يكن المعنى قدر»[3]فالطبع إذن موجود في كل إنسان لكنه يظهر ويتطور بفعل الصناعة وهو يمثل هذا باللفظ الذي هو الصناعة والمعنى الذي هو الطبع، فالصناعة هي التي تطور الطبع وتجعل الصانع متميزا عن الآخرين بطبعه وصناعته.

وأيضا نجد الجرجاني في كتابه "الوساطة" يشير إلى قضية الطبع والصنعة، فالشعر عنده علم تشترك فيه ثلاثة عناصر هي الطبع والرواية والذكاء، والدُّربَة تكون مادة له فمن اجتمعت هذه الخصال في شعره أو كلامه فهو المحسن فالناقد عندما يحكم على عمل أدبي فإنه يعتمد على التفريق بين الطبع والفطنة والدربة كما هو الشأن في سائر الصناعات، لا يمهر فيها ويكون خبيرا بأمورها إلا من لابسها وطالت فيها تجربته وتربى عليها إحساسه [4]. فالطبع كامن في باطن الإنسان والصناعة هي التي تخرجه إلى السطح وتظهر جماله في نصوص شعرية تختلف وتتباين من شاعر إلى آخر ومن عصر إلى عصر حيث يقول الجرجاني: «وقد كان القوم يختلفون في ذلك وتتباين فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم، ويتوعّر منطق غيره، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع »[5]. وهذا الاختلاف في الحقيقة

([1]) م.ن: ص.ن.

([2]) مصطفى درواش: خطاب الطبع والصنعة رؤية نقدية في المنهج والأصول، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص 26.

([3]) ابن رشيق القيرواني: العمدة،ص 127.

([4]) ينظر: عزالدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992، ص 138.

([5]) أبو االحسن الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص10– 11.

يكمن في الطبع والصنعة فهناك فريق يفضل الشعر المطبوع وهناك فريق آخر يفضل الشعر المصنوع، فالأول يميل إلى شعر البحتري الذي يتميّز بالسهـولة «وإنما أحلتُك على البـــحتري: لأنه أقرب بنا عهدا، ونحن به أشد أنســا، وكلامه أليق بطباعنا وأشبه بعاداتنا وإنما تألف النفس ما جانسها وتقبل الأقرب فالأقرب إليها »[1].

فالبحتري يأتي بمعانيه وألفاظه دون استكراه فلا تجد في شعره معاني مبتذلة والألفاظ مستعملة ولا غرابة في شعره فهو عمد إلى الطبع وابتعد عن التكلف فطبعه سليم ومهذب فيه فطنة وإلهام، عكس أبي تمام الذي يتميز شعره بالصعوبة وألفاظه غامضة وذلك لمحاولته الاقتداء بالقدماء وهذا ما جعله يتكلّف في شعره: «وربما كان ذلك سببا لطمس المحاسن، كالذي نجده كثيرا في شعر أبي تمام، فإنه حاول المحدثين الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه فحصل منه على توعير اللفظ فقبح في غير موضع من شعره»[2].

فشعر أبي تمام فيه أغراض خفية ناتجة عن استعماله للألفاظ والمعاني الغامضة في شعره والتي لا يفهمها القارئ أو السامع إلا بعد عناء ومشقة وأتعاب للفكر في الوصول إليها، فرغم اختلاف شعر البحتري وأبي تمام إلا أنهما يمثلان مدرستين متكاملتين، فكل من الطبع والصنعة مكملان لبعضهما البعض، فمن مال إلى الأول فلأنه أشبه بطرائق الأعراب لسلامته في السبك، واستوائه عند الفحص ومن مال إلى الثاني فلدلالته على كمال البراعة والالتذاذ بالغرابة[3].

وكذلك ربط حازم القرطاجني بين الصنعة والطبع في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء " حيث جعلها اللبنة الأساسية في نظم الشعر فيقول: «النظم صناعة ألتها الطبع والطبع هو استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام والبصرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري أي ينحى به نحوها »[4].من خلال هذا القول فحازم يشير إلى أن الطبع قوة كامنة في الصانع تخرجها الصنعة في موضوعات تجمع هذه الأخيرة بينهما فالطبع والصنعة وجهين لعملة واحدة.

في حين نجد أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين قد سلك مسلكا آخر مختلفا يفضل فيه الطبع على الصنعة ويبن ذلك في الفصل الأول من الباب الثاني في تمييز الكلام، حيث رأى أن الكلام السهل والسلس هو الذي يقبل ويكون وصوله إلى القلب قبل السمع، إذ يقول «ولا خير في المعاني إذا استكرهت قهرا، والألفاظ إذا احترت قصرا، ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه(...) وقد غلب الجهل على قوم فصاروا ستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه بكدّ، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كرة غليظة وجاسية غريبة، ويستحقرون

([1]) م.ن،ص **18**.

([2]) **ابن رشيق القيراوني: العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ص 11**.

([3])**ينظر: عزالدين إسماعيل: الأنس الجمالية، ص 129**.

([4]) **حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط3، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، ص 177**.

الكلام إذا رأوه سلسا عذبا وسهلا حلوًا ولم يعلموا أن السهل أمنع جانبا وأعز مطلبًا، وهو أحسن موقعا وأعذب مستمعًا»[1]. فالعسكري يفضل الشعر السهل المطبوع الخالي من التكلف والغرابة سواء في الألفاظ أو المعاني.

4- الصناعة بين المعرفة النظرية والتطبيقية:

لقد تطرق ابن خلدون إلى مصطلح الصناعة وذلك في كتابه " المقدمة" حيث تسبق المعرفة النظرية على العملية، فالصناعة تركز أولا على تعلم القواعد والقوانين الفكرية التي تخص أي صناعة بعدها يأتي تطبيق هذه القواعد بالعمل في الحرفة فيقول: «اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عمليا هو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوسة، نقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل في استعمال ذلك الفعل وتكرّره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته على نسبة الأصل تكون الملكة، ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر »[2]. يقر ابن خلدون أن الصناعة تحتاج في بدايتها إلى تعلم وكسب لمعرفة والإحاطة بالقوانين والقواعد التي تحكم هذه الصناعة بعدها ينتقل إلى الفعل الذي يترسخ بالتكرار وكثرة التدريب وكذلك التجربة حتى تحصّل الصناعة ويتمكن الصانع من امتلاك حلافة في يديه وقد ربط كل هذا بتعلم اللغة العربية حيث أوجب تعلم قواعد اللغة العربية وقوانينها، بعدها يمكن للصانع أن يبدأ في تجريب الكتابة والعمل عليها حتى يصبح ماهرا في هذه اللغة.

وأيضا نبه ابن خلدون إلى نقطة مهمة وهي التدرّج في تعلم الصناعة حتى تخرج من القوة إلى الفعل، فالقوة الموجودة في الأشياء؛ ويقصد بالقوة في المعرفة والعلم الذي حُصل للصناعة قبل وقوع فعلها. لا تخرج دفعة واحدة فالصناعة تحصل في أزمان وأجيال فالاستنباط يكون على التدريج حتى يكتمل، و لا يحدث الاكتمال أو خروج القوة إلى الفعل حتى يكون تزايدًا في الحضارة فكلما كان التحضر متزايدًا وجدت أمور الترف واستدعت استعمال الصنائع وخروج القوة إلى الفعل وكذلك قسم ابن خلـدون الصنائع إلى ما يختص بأمـر المعاش وما يختص بأفكار، وجعل من الأول الحياكة والتجارة وغيرها أما الثاني الشعر، والغناء، تعليم العلم، وفي رأيه الإنسان إذا حصل ملكة في الصناعة فإنه لا يستطيع بعدها أن يُجِدَ ملكة أخرى إلا القليل من الناس الذين لهم تلك الملكة بالفطرة فإنه يسهل استقبال وتعلم الملكات الأخرى[3].

كما ربط ابن خلدون الصناعة القولية بالألفاظ لا بالمعاني وذلك في قوله: «اعلم أن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني وإنما المعاني تَبَعٌ لها في أصل. فا لصانع يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر، وإنما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريُه على لسانه»[4].

---

(1) أبو الهلال العسكري: الصناعتين، ص 89.

(2) ابن خلدون: المقدّمة، ص 371.

(3) م.ن: ص371.

(4) أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص 576- 577.

فالألفاظ هي التي تقع في النطق واللسان أمّا المعاني فموجودة في الضمائر كذلك الألفاظ هي التي تصنع ويجتهد الصانع في وضعها في عبارات أما المعاني فهي موجودة في فكر كل شخص ولا تحتاج إلى صناعة مثل الماء الذي يوضع في الأواني فمنها آنية الذهب ومنها آنية الفضة وغيرها، فالماء يبقى واحد والأواني هي التي تختلف[1].كذلك بالنسبة للألفاظ هي التي تختلف والمعنى واحد.

ومن جانب تناول حازم قوانين الصنعة وخفاياها حتى وصل إل عملها لأنه يرى أن الجانب النظري وحده في عملية انتاج الشعر فيه خلل ونقص بل يجب الموازنة بين العملي والنظري في قوله: «وقد سلكت من التكلم في جميع ذلك مسلكا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة لصعوبة مرامه وتوعّر سبيل التوصل إليه، هذا على أنه روح الصنعة وعهدة البلاغة... فأني رأيت الناس لم يتكلموا إلا في بعض ظواهر ما اشتملت عليه تلك الصناعة أنتلك الظواهر بعد التكلم في جهل مقنعة مما تتعلق بها، إلى التكلم في كثير من خفايا الصنعة ودقائقها»[2]. فقد ركز حازم اهتمامه على صناعة الشعر على الوجه الذي يراه في عصره إذ حاول حصر جوهر الشعر والمتمثل في العلم به وأيضا عمل على تجاوز المنجزات السابقة، فالصناعة بحاجة إلى تعلم نظري من قوانين وقواعد وإلى فعل عملي تُطبّقُ من خلاله تلك القوانين والقواعد ليخرج إنتاجا جديدا وقد تميز أسلوب حازم عن بقية الأدباء في تأليفه وانفراده عن سائر علماء للغة العربية.

(1)ينظر: م.ن ،ص.ن.

(2) حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 98.

المبحث الثاني:

الصناعة في الثقافة اليونانية.

1 مفهوم الصناعة عند اليونان:

يعد الأديب اليوناني من أهم الأدباء الذين اهتموا بالفلسفة والشعر والمنطق حيث مثلت هذه العلوم الحياة الفكرية والعقائدية للشعب اليوناني، وهذا ما جعل الفلاسفة اليونان ينهضون امامنا فحين أو منتقدين لجملة هذه الأفكار والمعتقدات والقيم في آثارهم الأدبية، فهذا الأدب الذي أنتج أفلاطون كأحد أساتذة الفلسفة العظام أنتج أرسطو كعبقرية أخرى بارزة في هذا المضمار، حيث يعد هذا الأخير المصدر الثاني في الفكر اليوناني القديم بعد أستاذه أفلاطون في التنظير للقضايا الكبرى التي تمس المجتمع على الصعيد العام والأدب على الصعيد الخاص «وقد بين لنا أرسطو في كتابه "فنون الشعر" القواعد والقوانين الـولية لصناعة الشعر إذ يعدّ من أقدم الصناعات وأعرقهـا، كذلك نظرة أرسطو إلى الشعر نشأ أمر طبيعي في الإنسان وهذا أمر فطري موجود في الإنسان منذ الصغر»[1]،وإذا رجعنا إلى كلمة "فن" عند اليونان وجدنا أن هذه الكلمة لم تكن سوى «النشاط الصناعي النافع بصفة عامة»[2]، أي أن الفن كان يشمل أيضا الكثير من الصناعات المهنية كالتجارة والبناء وغيرها ولم يكن مقتصرًا فقط على الشعر والغناء والموسيقى وغيرها من الفنون الجميلة «فأرسطو اهتم بالصناعة كثيرا وإدراج كلمة فن في مؤلفه خير دليل على ذلك بحيث أعطى لهذه اللفظة معنى يبعدها عن أن تكون مجرّد صدى للجمال الطبيعي بل تعدّاه إلى قيمة صناعية وإنتاجية »[3].فعند قراءة كتابه " فن الشعر" يتضح أنّ أرسطو كان ينظر إلى الفن باعتباره يصنع ما عجزت الطبيعة عن تحقيقه.

يصنف أرسطو الصناعة إلى نوعين جيدة ورديئة، أما الجيّدة فهي التي تستخدم الألفاظ والمعاني الجيّدة والمعبّرة، أما الرديئة فتكمن في التعابير الهجنة والمعاني القبيحة وبينهما حدود تسمّى الوسائط »[4]. فالصناعة حسب أرسطو لها وجهين جيّد ورديء ويوجد بينهما ترتب.

وتوضع بجانب الوجه الذي تقترب منه لذلك فالصناعة تتطلب الجهد والمعرفة من الصانع الذي يريد ان يصنع شعرًا أو شيئا آخ ر، فالشاعر عند أرسطو هو صانع فهو يقوم بربط الصناعة بالمحاكاة ويحسن تنظيم أحداثها، وكذلك امتلاكه القدرة على تصوير شخصياتها حيث يقول: «الشاعر أو الصانع كما في اليونانية يكتسب هذه الصفة بسبب محاكاته لأفعال وهو –بهذا– صانع حبكات قبل أن يكون صانع أشعار »[5]. فالشعر صناعة تحتاج إلى صياغة لغوية جديدة، إذ تمثل الحبكة الأساس في التراجيديا بل هي جوهرها وروحها،

---

(1) ينظر: أرسطو: فن الشعر، تر: ابراهيم حمادة، ص 15.

(2) http://www.maghress.come/clitihad/120020، محمد الشبه: "مفهوم المحاكاة عند أرسطو"، 14 ديسمبر 2010.

(3) م.ن.

(4) ينظر: شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص 82.

(5) أرسطو: فن الشعر، ص 22.

كما ركز أرسطو على جمال العمل الفني واعتبر جماله كجمال أي كائن حي، فالشعر عنده هو أكبر سموا من التاريخ لكونه يروي الكلي بينما التاريخ يروي الجزئي، فالصانع أو الشاعر يمثل الشيء كما يتصوره ويتخيّله ويتم ذلك بطبيعة الحال عن طريق تشكيل مادة المحاكاة والتنسيق بين أجزائها وحذف ما هو غير ضروري فيها، حتى تستطيع أن تعبر عن فكرة عالمية شاملة فالإنسان بطبعه يميل إلى المحاكاة وهذا ما يميزه عن سائر الحيوان.

وهنا نلاحظ أن أرسطو أولى الصناعة أو الفن والشعر منه بصفة خاصة اهتم اهتمامًا بالغًا فيقول: «لأن الناس في الحقيقة يضيفون كلمة "صانع" أو "شاعر" إلى اسم العروض الذي يصوغ الشاعر شعره: ومن ثم يسمون البعض شعراء اليجين والبعض الآخر شعراء "ملاحم" كما لو أن المحاكاة لا تصنع الشاعر وإنّما الوزن الشعري»[1].

فالصانع عندما يقوم بصناعة كلامه بضبط وزنه وقافيته، وأيضا اختياره للغة والإيقاع الجميل لذلك فالعروض صناعة تتطلب التعليم وبدل الجهد في محاولة إخراج نصا أو عملا أدبيا ساميا وجميلا فقد أعاد أرسطو الاعتبار للشعر واعتبره صناعة تعلم الناس الخلاق والفضيلة عن طريق التخيل وهو مثله مثل الفلسفة التي تبين الصواب في الاعتقاد بالاعتماد على الاستدلال بعدما استخ ف به أفلاطون وطرد الشعراء من جمهوريته، فالشعر صناعة مثلها مثل الصناعات الأخرى.

2 -الصناعة والخطابة:

كما ارتبط مصطلح الصناعة في الثقافة اليونانية بعدّة مرادفات من بينها "الخطابة" التي اهتم بها الفلاسفة والبلاغيون اليونانيون وذلك راجع إلى الدور الكبير الذي تلعبه في الإقناع وتوجيه الرأي وبلورة الفكر، فقد كانت الخطابة في خطوتها الأولى ترتبط بالفلسفة لأن هذه الأخيرة تعتمد على البرهنة والمحاججة فكل من الفلسفة والخطابة يهدفان إلى الإقناع.

وجاء في كتاب أرسطو "الخطابة" في قوله: «الخطابة قوة تكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المنفردة»[2].فهدف الخطابة هو إقناع المتلقي والتأثير فيه باستخدام وسائل وآليات الإقناع، فالخطابة فنا من فنزن القول ارتبطت بالظروف السياسية والفكرية والاجتماعية التي كنت تسود المجتمع الإغريقي بشكل عام.

وتتمثل عناصر بناء الخطابة عند أرسطو في ثلاثة وسائل، ألا وهي:[3]

1. وسائل الإقناع والبراهين.
2. الأسلوب أو البناء اللغوي.
3. ترتيب أجزاء القول.

([1]) **م.ن، ص 57.**

([2]) **محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 18.**

([3]) **ينظر:م.ن: ص 20.**

فقد اكتسبت الخطابة مكانتها من خلال الدور العام الذي تلعبه في الحياة اليونانية القائمة على نظام ديمقراطي، ويلعب الإقناع فيه دورًا هامًا سواء في المجالس الاستشارية أو المحاكم أو المحافل، فقد أعطى اليونان الأولوية للمنطق فكان اهتمامهم منصبًا على الحجج.

3 -صناعة الشعر والنسيج:

لقد استخدم بعض النقاد العرب وحتى الغربيين في مؤلفاتهم مصطلح نسيج كمرادف لمصطلح الصناعة والتي تعني المهارة والحرفة والحذق وغيرها ولذلك ارتأينا إلى البحث عن معناها اللغوي في معجم لسان العرب إذ جاءت تحمل معنى الحرفة والعمل حيث يقول: «نسَجَ و نَّسَجَت الريحُ التراب تَنسُجُهُ نَّسْجًا: سحبت بعضُه إلى بعض ونَّسَجَتِ الريح الماء: ضَربته فانتسجَتِ فيه طرائقُ والنسيجُ معروف، ونسجَ الحائك الثوب ينسُجه وينسُجهُ نسْجًا من ذلك لأنه ضمَّ السّدي إلى اللحمة وهو النّساج وحرفته النّسّاجة وربما نسمي الدّراع نسَجًا ونسَجَ وَحْدَهُ الذي لا يعمل على مثاله مثل وأصله في الثوب لأن الثوب الرفيع لا يتسَجُ على منواله »[1]. فالصناعة هي جمع بين شيئي فجعل النسج عبارة عن تشابك بين الخيوط، أي أدخلها بعضها في بعض كما ربط النسيج بالمحو والقراءة.

وضمن نفس المعنى نجد الزمخشري في أساس البلاغة الذي يفسر أو يشرح معنى النسيج على أنه نوع من العمل يستخدمُ في حياكة ونسج الثياب فيقول: «نسجَ: ثوب منسوج بالذهب، ووضع رمحه على منْسج الفرسِ وهو منتهى المعرفة، والشاعر ينسُجُ الشعر وينْسُجَهُ: يُحَوِكَهُ، والكذابُ يَنْسُجُ الزور وينسُجُهُ وناقة تنسُجُ وتُنسِجُ في سيرها إذا سرعت نقل قوائمها »[2].فالشاعر كذلك يقوم بنسج كلامه وذلك باختيارها وحسن صياغتها ومعرفة مدى تناسقها مع بعضها البعض وكذلك الإحاطة بالوزن والقافية لإخراج قصيدة محكمة متوازنة،فالشعر يشبه حياكة الثوب ونسجه، وذلك أن الناسج يقوم بجمع الخيوط واختيارها في المنسج حيث يعمل على إدخالها مع بعضها البعض ليصنع الثوب وهكذا بالنسبة للكاتب الذي يعمل على صناعة نصه الأدبي إذ يجمع الألفاظ ويربطها بالمعاني الملائمة لها فيحدث تشابك بين العلامات اللغوية التي تتكون من دال ومدلول فالكاتب صانع مثل النّاسج.

أما الدلالة الاصطلاحية لكلمة "نسيج" فنجدها قد وردت عند حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء حيث يؤكد على ان النّسيج استعمل كمرادف للصناعة وان الناسج مثل صانع الكلام فيقول: «هذا على أن صناعة مؤلف الكلام كصناعة الناسج تارة نسيج بردا من يومه وتارة حلة عامة ولكل قيمته، وإنّما يظن أن ليس بين أنماط الكلام هذا التفاوت من جهل لطائف الكلام وخفيت عليه أسرار النظم »[3]. فصانع الكلام يصنع

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة "نَ سَ جَ"، ص 242.

(2) الزمخشري: أساس البلاغة، مادة "نَ سَ ج"، ص 265.

(3) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 98.

نصوصه من حياته اليومية وتقيس منها الأحداث وتختار اللفظ المناسبة لكتاباته وكذلك الناسج الذي ينسج أنواعًا من الثياب باختلاف وسائل النسج.

توافق فكرة النسيج شروط عمود الشعر عند أبي هلال العسكري في كتابه الصناعتين فبين أن الشعر ينسجُ فهو مثل الثياب،إذ لا يستعمل في الشعر اللفظ الهجين أو الرديء منه بل لا بد من حسن انتقاء الألفا ظ عند القيام بعملية النظم حيث يعتبر: «الشعر كلام منسوج ومنظوم وهو ما كان لفظه حسن ولم يهجن ولم يستعمل فيه السوقي من الألفاظ، وما كان معناه واضح وجيد »[1]. فالكلام نسيج وصناعة يستخدمه المؤلف في صناعة مؤلفاته الأدبية.

وقد أعاد رولان بارت فكرة النص بالارتكاز على التوليد الذاتي المستمر للمعاني اللانهائية، معتبرا النص نسيجا ومكانًا للمتعة تضيع فيه الذات، فحسبه لا يوجد مكان محدد للذة في النسيج: « فهذه اللّذة عبارة عن صناعة ابتدعها البلاغيون واللسانيون فهي تقوم على الإيماء وشبه اللعب إلى حدّ ما »[2]. فلذّة النص يمكن أن تعرف نفسها عبر الممارسة.

يصنف رولان بارت النصوص إلى نوعين قديمة وحديثة، فالقديمة غايتها إنتاج المعنى والحقيقة، أما النصوص الجديدة فتتمثل في توليد معان لا نهائية في قوله: «النص عبارة عن نسيج، يضفي هذا النسيج إنتاجا يقف المعنى الحقيقة خلفه، أما الآن فيركز على توليد معاني لا نهائية ويجعل من الذات ضائعة في ذلك النسيج »[3]. فرولان بارت أطلق النسيج على النص وشبهه بنسيج العنكبوت، إذ أن النص عبارة عن علامات لغوية متشابكة يتكون من دال ومدلول، أما شبكة العنكبوت فهي عبارة عن خيوط متشابكة ولهذا كلما حاولت إحالة النص إلى معنى نهائي فهي تسقط وتصبح فيه ذات القارئ مثلما تسقط الحشرة في نسيج العنكبوت وتضيع بين خيوطه.

وضمن نفس المعنى نجد جاك دريدا في "صيدلية أفلاطون" ركز على النص فقد عني هذا العمل منذ مباشرته بتفكيك الفكر الغربي منذ الميتافيزيقا اليونانية، إذ أنها تشكل أساس الفكر الغربي وتصوره للكتابة وللهامش، هذا التصور الذي ينظر إلى الكتابة كممارسة هامشية وثانوية بالقياس إلى الكلام المعتبر فالكتاب ة هي أصل الكلام وبنيته ونجد أن جاك دريدا يربط النص بالنسيج، فالنص ليس نصًّا إلا إذا كانت هناك قواعد وقوانين تحكمه وذلك في قوله: «يمكن لخفاء النسيج بأية حال أن يستغرق في حلّ نسيجه قرونًا النسيج منطويا على النسيج، قرون لحل النسيج معيدًا على هذا النحو بناءه كجسم حي راتقًا نسيجه نفسه من دون انتهاء خلف ذلك الأثر القاطع الذي هو قرار كل قراءة مدخرًا باستمرار مفاجأة للتشريح والفيزيولوجيا العائدين لنقد يتوهم السيطرة على

([1]) ينظر: أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص 41.

([2]) رولان بارت: لذّة النص، تر: منذر عياشي، ط1، مركز الانتماء القومي، لبنان، 1992، ص 90.

([3]) ينظر: م.ن، ص 108.

لعبه»[1]. فخفاء النسيج يكون من خلال عدم ظهوره في الحاضر فحل هذا النسيج يستغرق قرونا وذلك لتداخلها وتشابكها بعضها مع بعض مما يجعل حلها مستحيلاً، غير أنه يترك أثرًا دالا عليه.

ونجد أن أفلاطون يفرق ويميز بين جميع العناصر والأدوات التي تتدخل في عملية النسيج وبعدها يصل إلى نتيجة مفادها أن فن النسيج هو على صورة فن السياسة، حيث أنه شبه رجل السياسة بالنسّاج.

ولقد أشار دريد إلى فكرة النسيج في تقطيع النص وإذا أخذنا على سبيل الحصر قراءة النص كممارسة أي كعملية في النسيج، ولهذا فإن ميلاد نص جديد بفعل القراءة هو في حقيقة الأمر تجزئ في مساحة النص المقروء ويقول في ذلك: «ليس قاموسنا بأنه حال بعيدًا عن أن ينفذ وخلا زيادة قليلة فلم يعد أمام أسئلتنا سوى أن نسمي نسيج النص، القراءة، والكتابة، السيطرة واللعب (...) وذلك في النص، في النسيج وفي النسيجي بين استعارة النسيج (ISTOS) والسؤال حول الاستعارة»[2]. فالنسيج إذن هو نسيج من العلامات، فأفلاطون يرى أن نسيج النص هو تحريك هذه الخيوط في نسيج لغوي مفهومي موحدا أو متضافر.

ففكرة النسيج تساعدنا على فهم المقصود بالتفكيك «فالتفكيك حركة بنيانية وضد بنيانية في الآن نفسه، فقد تفكك بناءًا أو حادثا أو مصطنعًا ليبرز بنائه وهيكله ولكن نفك في آن معًا البنية التي لا تفسر شيئا فهي ليست مبدأ ولا قوة»[3]. فالتفكيك هو طريقة حصر وتحليل.

ويرى دريد أن الفكر الغربي قائم على ثنائية ضدية وهو ما يسمى "بالفاراماكون" «وهذه واحدة من المفردات الدريدية تتضمن على عملية اثنين بهما تخرج هذه المفردات ومن ثنائية المقابلات، كثنائية الذات/ الآخر، الخير/ الشر »[4]. وهذا يعني أنّ التفكيكية تقوم على قراءة مزدوجة وهي حلقة أساسية في التصور التفكيكي إذ أنها تقوم بتهديم تراكيب الكتابة مع غيرها من المستويات التفكيكية.

«فالتفكيك لا نقصد به الهدم ولكن نقصد به التقطيع فمثلاً عندما نقوم بقص القماش فإننا نضع وحدات يمكنها أن تكون نماذج لفساتين أوسراويل يستعملها مصمّموا الأزياء، أما المراد بالتفكيك في دلالته فهو شكل من أشكال تقطيع النص إلى وحدات أولية فما ينقطع عن النص فهو نص جديد يتم تركيبه»[5].

ويرى جيل دولوز بخلاف فلاسفة التواصل بأن الفلسفة هي فن تكوين وإبداع وصناعة المفاهيم، وجعل المفاهيم في النص عبارة عن نسيج متماسك، ويقول في ذلك: «ليس ثمة حدّ لإبداع المفاهيم إلا ذلك المسطح الذي تسكنه غير أن المسطح عينه هو غير محدود ولا يتلاءم تَرَسُّمُهُ إلا مع المفاهيم (...) لا بد من ذوق نحتاجه ليتم في فن الرسم فإنه حتى عندما نرسم الوحوش والأقزام لا بد من ذوق نحتاجه ليتم صنعها بشكل جيد (...)

---

(1) جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، تر: كاظم جهاد، دار الجنوب للنشر، تونس، 1998، ص 13.

(2) جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، ص 15.

(3) www.oudnad.net/spip.php?article644، عدلي هواري، " القراءة التفكيكية ".

(4) ينظر: جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، ص 9.

(5) www.m-a-arabia.com/vb/showtnread، محمد شوقي الزين، "نسيج النص: علامات في التفكيك"، مجلة السيمات، العدد 2، سبتمبر 2013.

بما يجعل حوافيها غير المنتظمة تدخل في علاقة مع نسيج الجلد أو مع خلفية من الأرض كما لو كانت مادة توليدية»[1].

فقد جعل دولوز الفلسفة فن تشكيل وتكوين وصنع للمفاهيم، فإذا كانت المفاهيم موجودة وجاهزة من قبل يمكن ملاحظتها، فالإنسان ليس دائمًا محتاج إلى الرجوع إلى الفلسفة من أجل القيام بعدّة أشياء تخص علم الحياة فالموسيقي أو الرياضي لا ينتظر ظهور الفيلسوف حتى يفكر في صناعته بل إن تفكيره يكون من خلال إبداعه.

المبحث الثالث: الصناعة في كتب الجاحظ:

إن العربي اتخذ لكل ما يعينه على قضاء حوائجه وصرف أموره وتدليل الصعاب التي تواجهه، صناعات من شأنها التسيير والتسهيل في حياته.

ويعد الكلام وسيلة من وسائل قضاء تلك الحوائج، لذلك اهتم به الأدباء والشعراء واعتبروه صناع مثلها مثل الصناعات الخرى فكتبوا وألفوا نصوصا نثرية وشعرية تحمل في تضاعيفها ما يصور فصاحة منطقهم وبلاغتهم وبلاغة ألفاظهم التي كانوا من خلالها يستملون القلوب والأسماع.

1. اتساع الصناعة عند الجاحظ:

1-1. صناعة الكلام:

يعد الجاحظ من اللغويين الذين أعطوا للكلام وصناعته منزلة رفيعة كونه ضروري للإبانة عن النفس والتعبير عن الحاجات الكثيرة التي تكثر عند الإنسان، وأيضا الكلام هو المزية التي يمتاز بها الإنسان عن الحيوان والجماد وهو الصيغة التي يعبر بها ويقنع ويفهم الناس بآرائه وأفكاره ثم على الكلام البليغ قامت معجزة القرآن الكريم، ولهذا نجد الجاحظ قد خصص مؤلفا كاملا ظهر في شكل رسائل أدبية أدرجها كلها تحت عنوان "صناعة الكلام" وهذا أفضل حقيقة على شغفه واهتمامه بالكلام وصناعته بحيث يصل عدد هذه الرسائل إحدى وعشرون رسالة ولم يصلنا منها سوى ربع عددها تقريبا وليس كاملا إلا في أقله، فرغم القيمة العالية والكبيرة التي تحملها إلا أنها لم تلق الصدر المحتضن لها فضاعت وفقدت، ومن أهمها "كتمان السر وحفظ اللسان" و"البلاغة والإيجاز" وغيرها من الرسائل الأدبية التي شملت الأديب والفلسفي والعالم وحتى الباحث أو الطالب لإغناء معارفهم وعلومهم التي تبنى على أساس هذه الآثار المتنوعة المواضيع، إذ ذكر الجاحظ في فصل من صدر كتابه في صناعة الكلام تفضيله لهذه الصناعة عن باقي الصناعات فيقول: «ذكرت –حفظك الله– تفضيلك صناعة الكلام والذي خصصت به مذهب النظام وشغفك بالمبالغة في النظر وصبابتك بتهذيب النحل مع أنسك بالجماعة ووحشتك

(1) جيل دولوز، فليكس غتاري: ما هي الفلسفة، تر: مطاع الصفدي، ط1، مركز الإنماء القومي، لبنان، 1997، ص 92.

من الفرقة والذي تم عليه عزمك من إدامة البحث والتنقير (...) ومن الانتساب إليهم والتعرف بهم »[1]. فهذه الصناعة تهذب النفس وتزرع روح الجماعة وتنهي الإرادة والعزيمة في البحث والتنقي ب عن المعلومات التي يميز منها المحض المصفى، فالصانع الحقيقي لا يقبل كل ما يرد على خواطره بل يبدل جهدا عظيما في تنقيحه للفكرة وإعادة النظر فيها وكذلك في محاولة التماس المعنى المصيب تارة والتماس اللفظ المتخير تارة ثانية لأنه بصناعته الجيدة المتقنة يسمى ويرتفع بحيث يخلد اسمه ومعرفته عبر الأزمان لأن صناعة الكلام كنز لا يفنى ولا يبلى، يتداوله الأجيال عبر الأزمان المختلفة ليبني حضارات عريقة كما أنه الصاحب الذي لا يمل ولا يغل فهو صديق لصاحبه يشاركه كل أفكاره وخواطره النفسية فيشكل له قوالب فنية لها مدلولات تعبر عن مذهبه وآرائه فتجعل منه صانعا ماهرًا في حرفته[2].

وأيضا يذكر الجاحظ في كتابه صناعة الكلام أن لهذه الصناعة آفات كثيرة فيها ما هو ظاهر للعيون والعقول ومنها ما يدرك بالعقول ولا يظهر للعيون وإن ظهر للعقول فتكون سليمة التركيب وذهن خالص الجوهر، ثم إن الكلام لا يدركه الشخص أو الفرد إلا بعد دراسة واجتهاد كبير على الكتب وكذلك الصبر على التعلم والمعلم؛ حتى تحقق غايتك في الصناعة فالرغبة القوية هي التي تأخذه إلى النجاح المنتظر لكن بالعمل والإرادة على الوصول إلى أقصى النهاية فالعلم إذا أعطيته حقه من الرغبة فيه أعطاك حقك من الثواب عليه، ومن هذه الآفات ما يلي:[3]

-أن يرى من أحسن بعضها أنه قد أحسنها كلها وكل من خاصم فيها ظن أنه فوق من خاصمه.

-المبتدئ يرى نفسه كالمنتهي ويخيل إلى الغبي أنه فوق الذكي.

-الصانع فيها يعرض عن أهله وينصب أصحابه من لم ينظر في علم قط ولم يحض في أدب ولا يفرق ما بين الإهمال والتفكير.

1-2. صناعة المهن:

لقد تناول الجاحظ في رسالة القواد أن الصنعة تختلف باختلاف الصانع لها، وهذه الرسالة تتضمن عنوانا لا يتلاءم تماما مع موضوعها الحقيقي الذي هو: الأدب واللغة والبيان، حيث نجده يتحدث عن الصناعا ت ويذكر أن لكل صناعة مصطلحات خاصة يبتكرها الصانع من محيط صناعته، فالقائد العسكري مثلا يعبر بألفاظ ومعاني مستقاة من صناعة الحرب والقتال مثل: الأعداء، السلاح، الحصار، الجثث، القتال. والطبيب كذلك الذي يستعمل تعابير لها صلة وثيقة بصناعته مثل: المحقنة، الدواء، السل، الإسهال....وأيضا مع الخياط والخباز والنجار والزارع وغيرها من الصناعات الكثيرة التي تختلف فيها القواميس اللغوية إذ كل صانع ينفرد بقاموس لغوي خاص به

---

(1) الجاحظ، "رسالة الجاحظ حول علم الكلام"، سبتمبر 2003. http://www.maghess.com/alitthad/120020

(2) ينظر:م،ن.

(3) ينظر:م.ن.

تندرج فيه الألفاظ والعبارات التي يكتسبها من ممارسته لصناعة ما، فكل صانع له مصطلحات يقتبسها من حرفته أو صناعته.

كما يعالج الجاحظ ضرورة الجانب الموسوعي والثقافي للصانع وذلك بالإطلاع على العلوم ولا يقتصر على علم واحد فيقول الجاحظ للمعتصم : «فخذ يا أمير المؤمنين بأولادك بأن يتعلموا من كل الأدب فإنّك إن أفردتهم بشيء واحد ثم سئلوا عن غيره لم يحسنوه »[1]. فالصانع أو المتعلم لحرفة ما أو صنعة عليه أن يكون محيطا بكل العلوم الأخرى خاصة اللغة والأدب كون اللغة أداة للتعبير ومادة اللسان، وكذلك حتى يتزود الصانع بمفردات وتعابير في كل علم وموضوع، فمعلم الأدب مثلا عليه أن يكوم مطلعا على كل العلوم وليس فقط القواعد التي تخص اللغة العربية أ و النحو والعروض بل يجب أن يكون أكثر اتساعا في قراءته فيطلع على العلوم الأخرى كالاقتصاد والتاريخ والعلوم حتى لا يقع في مواقف تبين جهله وضعفه في العلوم الأخرى وأيضا بالنسبة للمفتي الذي يجب أن لا يقصر في علمه على علوم الدين فقط بل الاضطلاع على كل العلوم الأخرى ومعرفتها فالصناعة في الحقيقة وسيلة من وسائل التعلم و اعمال العقل.

وكذلك نجد الجاحظ يشير أن الصانع قد يقتصر على صناعة واحدة ويتقنها وربما لا يستطيع تعلم صناعة أخرى إذا كان بارعا فيها إذ يضرب مثلا بالحياكة فالحائك لا يكون جاهلا للحساب والوزن وتشقيق العمل [2]. فالمصرفي ق د يكون جاهلا لصناعة الحياكة على عكس الحائك الذي له القدرة على الحساب أثناء حياكته الثوب لكنه في الحقيقة لا يستطيع مجاراة المصرفي فيه، فكل صانع له صناعة يتقنها ويبدل جهده فيها ليتمكن منها حتى إنه لا يملك القدرة على تعلم صناعة أخرى والبراعة فيها وإتقانها.

1 3. صناعة الموجودات:

لقد أظهر الجاحظ في كتابه الحيوان قدرة الله العظيمة على الصنع وذلك بالتحدث ووصف لمختلف الكائنات الموجودة في الكون والتي نثبت أن الله عز وجل صانع يقول: «إذا صنع النحل خلاياه مع عجيب القسمة التي فيها لم يحسن أن يعمل مثل بيت العنكبوت والسرقة التي يقال "أصنع من سرقة" لا تحسن أن تبني مثل بيت الأرضة على جفاء هذا العمل وغلطة ودقة ذلك العمل ولطاقته »[3]. فالله خلق النحل والتي هي كائن صغير بالنسبة للعمل الذي تقوم به إذ بث فيها القدرة على معرفة كيفية صناعة بيوتها والأدوات المستعملة لذلك، فالله تعالى صنع فيها الإلهام وهو المعرفة بالأشياء والقدرة على إدراك أماكن وجود الطعام والقدرة على التناسل وغيرها، فالكائنات لها القدرة على الصنع، فالحمام مثلا ما إن يعلم أن الأنثى لها ولد حتى يتقدّم في إعداد العش، فينقل القصب وشقق الخوص، وأشباه ذلك من العيدان أن الخوارة الدقائق حتى يعملا أفحوصة وينسجها نسجا

(1) الجاحظ: رسائل الجاحظ، تح: علي أبو ملحم، ط3، دار ومكتبة الهلال، لبنان، 1995، ص 53.

(2) ينظر: الجاحظ: الحيوان، ج1، ص 141.

(3) الجاحظ: الحيوان ج2، ص 147.

مداخلا، وفي الموضع الذي قد اتخذاه واصطنعاه [1]. فالحيوان هو الذي يصنع بيته ليحمي صغاره من الخطر، فالكائن الحي إذن له القدرة على الصنع كما أنه يملك معرفة تمكنه من فهم العالم الذي يعيش فيه.

وأيضا يشير الجاحظ إلى أن الحيوانات لها القدرة على التعلم من تلقاء نفسها، فالسباع لها المعرفة بأن الجاموس يخافها ومعرفة الجاموس كذلك بأن الخطر محدق بها ما إن تراه لأنها على علم بالسلاح الموجود في فم السباع[2]. لذلك فهي تتجنبها وتهرب عند رؤيته لأنها تعرف ان الخطر محيط به، فالله صنع الأسد ومكنه من التعرف على فريسته فخلقه قويا وأعطاه القدرة على الجري والسرعة، فالله صنع واستحسن الصنع وأتقنه إذ وضع لكل شيء ما يناسبه ويتناسق معه، فالإنسان قبل أن يكون صانعا فهو مصنوع لأن الله خالقه وصانعه.

2. صناعة الشعر:

لقد اهتم الجاحظ بالشعر والشعراء وأعطى لهم جانبا كبيرا في مؤلفاته إذ لا يخلو كتابا إلا وذكر هذه الصناعة وصُناعها إمّا واصفا لهم أو كتدعيم لفكرته بأبيات شعرية، كما تحدثت عن مكانة الشعر ومدى اهتمام الناس بهذه الصناعة التي تتطلب الجهد والعمل، وقد أورد الجاحظ أن هذه الصناعة حديثة الميلاد، صغيرة السن، وأن أول من نهج سبيلها وسهل الطريق إليها: امرأ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة [3]. فالشعر جذوره عربية إذ لا يمكن ترجمته أو نقله لن ذلك يفسد وزنه ونظمه.

وأيضا نجد الجاحظ يعتبر الشعر من الفنون فهو يندرج ضمن الصناعات التي تحتاج الإتقان وحسن الصياغة والتعبير حيث أنه يقيس الشعر بمقياس جودته وصحة طبعه إذ يجعل الشعر كالرسم فيقول: «فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وضرب من النسيج وجنس من التصوير »[4]. فكما أن الرّسام يختار الألوان المناسبة لرسمته كذلك الشاعر يعهد إلى اختيار الألفاظ البليغة والمعاني الشريفة التي تثير الإعجاب والحسن في المستمعين وتصنع في القلوب صناعة جديدة، فالشاعر صانع للكلام يصور ويصنع قوالب شعرية تكشف من خلالها قدرته وتمكنه من هذه الصناعة التي تستدعي الكثير من الجهد والعمل، فالكاتب صانع للألفاظ والكلمات مثله مثل النجار والبناء وغيرهم.

كما عالج الجاحظ كذلك إتقان الخطباء لصناعة الشعر إذ يشير أن هذه الصناعة ليست مقتصرة على الشعراء فقط بل هناك من الخطباء الشعراء الذين يتقنون الصنعتين فيقول: ومن الخطباء الشعراء ومن يؤلف الكلام الجيد، ويصنع المناقلات الحسان ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة »[5]. ويذكر بعضهم مثل عيسى بن يزيد بن دأب، أحد بني ليث بن بكر وكنيته أبو الوليد، وهناك من الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر **الجيد**

([1])م.ن، ج3، ص 149.

([2]) م.ن، ج7، ص 137.

([3]) ينظر: الجاحظ :البيان و التبيين ،ج1، ص 74.

([4]) م.ن، ج3، ص 131– 132.

([5]) ينظر: م.ن، ج1، ص 51.

والرسائل الفاخرة مع البيان الحسان ومن بينهم: كلثوم بن عمر العتابي وكنيته أبو عمر وقد كان العتابي يحتدي حدو بشار في البديع، وهو يعتبر جميع من يتكلف في كلامه من الشعراء المولّدين، ومن الخطباء الشعراء الذين قد جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار، والكتب الكبار المخلدة سهل بن هارون بن راهيوني، على بن إبراهيم بن جبلة بن مَخْزمة ويكن أبا الحسن [1]. فالخطباء أيضا كانوا يتقنون صناعة الشعر فيصنعون القصائد ويحسنون إخضاع الكلام للوزن والقافية ببراعة فينظمون قصائد يعجب لها الشعراء المحترفون في صناعة الشعر.

([1]) ينظر: م.ن، ص 52.

خاتمة

نستنتج في فصل الصناعة أن الكلام صناعة مثله مثل الصناعات الأخرى تتطلب الرغبة و الجهد في العمل و ذلك بحسن اختيار الألفاظ و المعاني و صياغتها في قوالب فنية تظهر تمكن الصانع من صوغ أفكاره و بناءها في نصوص شعرية و نثرية، و قد اتفق النقاد القدامى على صانع الكلام يجب أن يمتلك الخبرة التي تمكنه من إتقان هذه الصناعة .

الفصل الثالث

المبحث الأول: طريقة صناعة المصطلح:

أصبح الاهتمام بالمصطلحات كبير ا جدا ،كونها مفاتيح العلوم على حد تعبير الخوارزمي، فهي ضرورة حتمية للإحاطة بما فه يم من العلوم والمعارف، فالمصطلح هو اللفظ أو الرمز اللغوي الدال على مفهوم معين في علم، أو فن ،أو أي علم ذي طبيعة خاصة [1]. فلا يستقيم أي علم إلا بوجودها والأمر نفسه بالنسبة للبلاغة باعتبارها أهم مرجع من أجل التمييز بين مجموع المصطلحات التي تدل على المفهوم الواحد، حيث يمثل المفهوم عملية ذهنية تشير إلى مجموعة من الموضوعات أو الخبرات، أو إلى موضوع واحد في علاقته بغيره من الموضوعات ويعتبر المعنى كليا يمثل أفراد مختلفين وفكرا مجددا لأنه يمثل الصفة السائدة في هؤلاء الأفراد [2]. فالجهاز المفاهيمي الخاص بحقل علمي أو معرفي يترجم من خلال مصطلحات تكون كفيلة بالكشف عن المعا لم الداخلية لذلك الحقل.

1 _ المصطلح في اللغة والاصطلاح:

1_1 الدلالة اللغوية:

ورد في لسان ابن منظور لفظ "صَلَحَ" وهي أصل كلمة مصطلح إذ يقول: «الصلاح ضد الفساد (...) وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه و أصلح الدابة أحسن إليها »[3]. فلفظة مصطلح مشتقة من الجذر الثلاثي لـ"صلح" وهي ضد الفساد.

كما نجد ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة يشير إلى مادة " صَ لَ حَ " فيقول: «الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد»[4].

أما في معجم العين فجاءت كلمة صلح بمعنى الاتفاق والصلح بين الجماعة «الصلاح نقيض الطلاح ورجل صالح في نفسه ومصطلح في أعماله وأموره، والصلح: تصالح القوم بينهم، وأصلحت إلى الدابة أحسنت إليها »[1].

ومن هذا نستنتج أن كلمة " مصطلح" مصدر ميمي للفعل المزيد " اصطلح" على وزن" افتعل" الذي مجرده "صلح" ولعل البحث في الدلالات الصرفية للوزن "افتعل" تعني: المطاوعة، الاشتراك، الاتخاذ [2]. فالجذر اللغوي (ص، ل، ح) إذن يدل على الصلاح والاستقامة، وكذلك الاتفاق والانسجام ما بين الأفراد لتحقيق مقاصدهم.

---

(1) ينظر: حامد صادق قنيبي : مباحث في علم الدلالة و المصطلح، ط1، دار ابن الجوزي، الاردن،2005،ص9

(2) ينظر:محمد بن يحي زكريا :بناء المفاهيم، الجزائر،2008،ص14

(3) ابن منظور: لسان العرب، ص4، المادة "صَ لَ حَ " مج4 ، ص 2478.

(4) ابن فارس: مقاييس اللغة، ط3 ، دار الكتب العلمية، لبنان، ج2، 2008، ص17.

(1) الخليل بن أحمد الفراهدي: كتاب العين، ج2، ص 406.

(2) ينظر : لحسن دحو:كاريزما المصطلح النقدي العربي،تأملات في الوعي النقدي و صياغة المفهوم، مجلة المخبر العدد7،جامعة محمد خيضر ، الجزائر،2011، ص209.

1-2 الدلالة الإصطلاحية:

لقد جاء في كتاب التعريفات للجرجاني أن مفهوم المصطلح هو: «الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، أو إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، و قيل الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي آخر لبيان المراد وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معين » [3]. فالمصطلح يقوم على أساس الاتفاق على تسمية أو مفهوم معين يخص طائفة معينة، ويكون بين التسمية والمفهوم مناسبة تجمعهما.

كما نجد تعريفا آخر للمصطلح يدل على التطور والتقدم العلمي وهو من وسائل التواصل بين الناس«المصطلح أداة من أدوات التفكير العلمي ووسيلة من وسائل التقدم العلمي والأدبي، وهو قبل ذلك لغة مشتركة بها يتم التفاهم و التواصل بين الناس عامة، أو على الأقل بين طبقة أو فئة خاصة وفي مجال محدد من مجالات المعرفة والحياة » [4] .فالمصطلح مظهر من مظاهر تقدم الأمم علميا و تكنولوجيا، وهو اللغة التي يتفاهم بها الناس، وهو لا يقتصر على مجال واحد وإنما يخص كل المجالات.

أما الدكتور علي القاسمي فيعطي تعريفا للمصطلح على أنه ‹‹ المصطلح كل وحدة لغوية دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو كلمات متعددة (مصطلح مركب) وتسمى مفهوما محددا بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما » [1]. فالمصطلح قد يكن كلمة مفردة أو عبارة يعبر عن مفهوم واحد داخل مجال معين.

2- المصطلحات المشتركة في التراث مع النقاد:

- **الالتئام:**

لقد عالج الجاحظ مصطلح الالتئام الذي يعني التلاحم والاتفاق حيث قال: «وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد افرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الذهان» فالكلام الجيد حسب الجاحظ هو ما تطابقت ألفاظه مع معانيه وتلاحمت أجزائه واتفقت فيكون صدر البيت متوافق ومتناسق مع عجزه ولا يكون تباين في ألفاظه أو معانيه.

والالتئام في البلاغة هو أن تكون كلمات النظم متناسبة ليس فيها ما يثقل على النطق عند اجتماعها وهو ما تحدث عنه البلاغيون في باب التنافر عند كلامهم على فصاحة الكلام وخلوه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات[2]. فالكلام يكون بليغا إذا كانت الألفاظ متناسبة مع بعضها البعض ولا يوجد تنافر في **الحروف أو**

---

[3] مهدي صالح سلطان الشمري: في المصطح ولغة العلم ،كلية الأداب ،جامعة بغداد ، 2012،ص209.

[4] محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص 6-7.

[1] أحمد مطلوب: معجم النقد العربي القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ج1،ص10-11.

[2] ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، مطبعة المجمع العراقي، 1987.

الألفاظ مما يخلق صعوبة النطق وكذا صعوبة الفهم فيصبح الكلام غير فصيحا ولا بليغا فالصانع يجب أن يكون ماهرا في اختياره للألفاظ وما تناسبها من معاني للتعبير عن موضوع ما.

- **الإيجاز:**

يعد أسلوب الإيجاز من أهم خصائص اللغة العربية إذ كان العرب يعدون الإيجاز هو البلاغة فقد أورد الجاحظ الإيجاز في قوله «وقد سأل معاوية صحار بن عياش العبدي: ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز، قال له معاوية وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ » [3]. فالإيجاز في الكلام وعدم الإطالة فيه يعد بلاغة فتكون الألفاظ قليلة لكن المعاني كثيرة، أو كما أورد الجاحظ كذلك أن أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره [4]. فبلاغة الكلام عند الجاحظ تكمن في الإيجاز وعدم الإسهاب في القول.

- **الاستعانة:**

لقد أورد الجاحظ مصطلح الاستعانة عند معالجته البلاغة حيث يرى أن الكلام البليغ هو الذي لا يحتاج إلى استعانة لفهمه أو إفهامه، والاستعانة تعني: هي إيراد عبارات أو ألفاظ في مقاطع الكلام مثل:يا هناه، ويا هذا ويا هيه، واسمع مني واستمع إلي وافهم علي، أولست تفهم، ولست تعقل فهذا كله وما أشبه عي وفساد [1] فالاستعانة إذا أدخلت على الكلام جعلته فاسدا وغير بليغا كونها عيب في الكلام، كما تظهر أيضا عدم قدرة صانع الكلام على إفهام المتلقي وتوصيل المعنى له باستعمال كلام بليغ بعيد عن الاستعانة.

وكذلك نجد الميرد قد اعتبر الاستعانة عيب من عيوب الكلام وهي أقرب إلى الجملة الاعتراضية أو علامة التنبيه إذ عرفها بقوله: «أن يدخل في الكلام ما لا حاجة إليه ليصحح به نظما أو وزنا إن كان شعرا وليتذكر ما بعده إن كان في كلام منثور كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة مثل قولهم: ألست تسمع؟ أفهمت؟ أين أنت؟ وما أشبه ذلك »[2].

- **البديع:**

ذكره الجاحظ عند تعبيره عن حبه للعرب والرد على الشعوبية فيقول: « والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان »[3] فالعرب هم أول من استخدموا البديع في أشعارهم إذا أورد الجاحظ أن الرواة هم الذين أطلقوا مصطلح البديع أول مرة على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض

---

[3] **الجاحظ: البيان و التبيين، ص83.**

[4] **ينظر: م.ن، ص.ن.**

[1] **ينظر: الجاحظ: البيان و التبيين ،ج 1، ص 113.**

[2] **أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ص 174.**

[3] **م.س.ص54.**

الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فتزيدها حسنا وجمالا [4]. فالجاحظ من الأوائل الذين اعتنوا بالبديع وصوره.

وقد ألف ابن المعتز كتاب كان قد عنونه باسم البديع حيث يعرض فيه أن العرب هم أولوا من ابتكروا هذا الفن ولم يأت من المحدثين، فالبديع من صنع العرب وليس للمتقدمين يد فيه.

- **المساواة:**

لقد عرض الجاحظ لمصطلح المساواة وذلك في اللفظ والمعنى، أن اللفظ يجب أن يكون على موازنة ومساواة مع المعنى إذ يقول: «حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا وتلك الحال لها وفقا، ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا» [1]. فالجاحظ يري أن اللفظ يجب أن يكون مساويا للمعنى فلا يزيد ولا ينقص كأنه إن زاد أو نقص أصبح الكلام قبيحا ومتكلفا ولم يعد بليغا.

وقد ورد عن العسكري على أساس المقدار فيقول: «هو أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب » [2]. فالألفاظ لابد أن تكون مطابقة للمعاني التي اختارتها للتعبير عنها فلا تزيد ولا تنقص بل تكون على مقدار واحد.

- **الإطالة:**

لقد ذكر الجاحظ أن بعض البلغاء لا يميلون إلى الإطالة بل كان بعضهم لا يكاد يتكلم كعمرو وابن عبيد، وإذا تكلم لم يكد يطيل [3] . وكان يقول الجاحظ كذلك: «لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه وإذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف » [4] . فالجاحظ يرفض الإطالة في الكلام لأنها تظهر التكلف في الكلام وتبعده عن البلاغة فالكلام كلما كان موجزا كلما كان بعيدا عن الخطأ والعي، لكن الإطالة في محلها تكون بلاغة.

وهذا ما قدمه ابن جني من خلال كتابه الخصائص حيث ذكر أن الإطالة والإيجاز جميعا إنما هما في كل كلام مفيد مستقل بنفسه[5]. فالإطالة لها مقتضاها في الكلام كما للإيجاز ذلك.

---

[4] أحمد مطلوب، كامل حسن البصير: البلاغة و التطبيق، ص 412.

[1] الجاحظ: البيان و التبيين ،ج1، ص 93.

[2] أحمد مطلوب:معجم المصطلحات البلاغية، ص248.

[3] ينظر: م.س ،ص 114.

[4] م.ن، ص115.

[5] ينظر: أبو فتح عثمان بن جني: الخصائص، تح: محمد علي نجار، دار الكتب المصرية، ج1، ص30.

- **الاستعارة:**

الجاحظ لم يكتفي بذكر مصطلح الاستعارة وإنما فصل فيها وحاول وضع تعريف لها في قوله: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه »[6]. وقد سماها كذلك بالمثل والبديع عند تعليقه على بيت الأشهب بن رملية.

ثم بدأ تعريف الاستعارة بعد الجاحظ يأخذ طابعا واضحا يختلف عما سبق وهذا ما جاء به القاضي الجرجاني في كاتبة الوساطة حيث قال : «الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة وجعلت في مكان غيرها وملاها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما مناظرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر »[1] فهذا التعريف يختلف عما جاء به الجاحظ إذ فيه توضيحا أكثر فهو يوضح عناصر الاستعارة المتمثلة في المستعار له والمستعار منه ويشير كذلك إلى وجوب تطابق اللفظ مع المعنى حتى لا يكون تنافر في الكلام فيحدث عيبا فيه.

- **التعقيد:**

تطرق الجاحظ إلى مصطلح التعقيد وذلك بذكر قول بشير بن المعتمر: «وإياك والتوعر فإن التوعر يسلمك إلى التعصب والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك و يشين ألفاظك »[2]. فالجاحظ يقدم تحذيرا للصانع من التعقد لأنه يسبب العيب في الكلام ويجعل الألفاظ والمعاني متداخلة فلا يصل إلى المعنى المراد ولا يحقق الإفهام والفهم للمتلقي.

وهذا ما ذهب إليه العسكري في كتابه الصناعتين من أن التعقيب والأفلاق والتقعير سواء، وهو استعمال الوحشي وشدة تعليق الكلام بعضه ببعض يشبهم المعنى [3]. فالتعقيد من عيوب الكلام لأن صناعة الكلام تتطلب ألفاظا واضحة وسهلة بعيدة عن الوحشي وعن الغريب منها وكذلك المعاني فالصانع الذي يجعل الألفاظ متشابكة مع بعضها وغير واضحة لن يكون كلامه بليغا.

- **ائتلاف اللفظ مع المعنى:**

يقتضي في وجود الفظ ان يكون معناه واضحا بعيدا عن التعقيد وأن يكون هناك ائتلاف ما بين اللفظ والمعنى وهذا ما ذهب غليه الجاحظ في قوله: «إلا أني ازعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني »[4].كما أشار بشر بن المعتمر في صحيفته إلى هذا الفن فقال: «ومـن أراد معنى شريفا **فليلتمس له لـفظـــا**

---

(6) **الجاحظ: البيان و التبيين، ص 135.**

(1) **القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي و خصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، و علي محمد البجاوي،ط1، المكتبة العصرية، لبنان، 2006، ص45.**

(2) **الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 136.**

(3) **ينظر: أبو هلال العسكري:الصناعتين، ص 31.**

(4) **م.س، ص 145.**

كريما، فإن حق المعنى اللفظ الشريف » [5]. فإذا كان اللفظ لائقا فحتما معناه سيكون لائقا، وإذا كان اللفظ هزيلا فمعناه سيكون كذلك فاللفظ والمعنى وجهان لعملة واحدة، فهذا هو التناسب بين اللفظ والمعنى.

وقد أشار القاضي الجرجاني إلى هذا النوع من الائتلاف فقال: «لا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحدا، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه، بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني ».[1] فالجرجاني يرى أن اللفظ يجب أن يكون موافق للمعنى الذي يعبر عنه و أن جمال صناعة الكلام لا يكون في تشابه الألفاظ مع بعضها البعض في الحروف أو غيرها إنما في ملائمة اللفظ للمعنى الذي وضع من الشعر فالشعر بلاغته و فصاحته ليست في تلاؤم قافية البيت الأول مع الأبيات التي بعده إنما في الألفاظ المختارة و المستعملة في التعبير عن المعاني.

- **الأسلوب الحكيم:**

فقد عقد الجاحظ في كتابه " البيان و التبيين" بابا سماه " اللغز و الجواب" و قد جاء في قوله: ‹‹قالوا كان الحطيئة يرعى غنما له و في يده عصا فمر به رجل فقال : يا راعي الغنم ما عندك؟ قال: من عجراء سلم-يعني عصاه- قال إني ضيف، الحطيئة للضيفان أعددتها »[2] فهذا الأسلوب كان يستعمل للتصرف و التخلص من إحراج السائل.

و كذلك نجد السكاكي قد تطرق إلى الأسلوب الحكيم عند تحدثه عن التصريح و التلويح إذ جاء في قوله: ‹‹ و لا كالأسلوب الحكيم و هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب »[3]. فالأسلوب الحكيم هو أن تخاطب شخصا بما لم يكن يتوقعه السائل.

- **الاقتباس:**

لم يتطرق الجاحظ إلى تعريف الاقتباس وإنما اكتفى بذكر أمثلة عن الاقتباس، فقد روى الجاحظ عن عمران بن حطان أنه قال : «خطبت عند زياد خطبة ضنن أني لم أقصر فيها عن غاية، ولم أدع لطاغن علة، فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخا يقول: هذا الفتى اخطب العرب، لو كان في خطبته شيء من القرآن›› [4]. فالجاحظ لم يفصل في الاقتباس ولم يحصره بمفهوم محدد.

- **الهزال المراد به الجد:**

---

[5] م.ن،ص 136.

[1] إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع و البيان و المعاني ، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996، ص11.

[2] الجاحظ: البيان و التبيين، ج2، ص 147.

[3] أحمد مطلوب :معجم المصطلحات البلاغية،ص 200.

[4] م.س، ص6.

ونجد بأن الجاحظ قد ذكر في عض فصوله نوع من الهزل وذلك بغرض إستنشاط القارئ والترفيه عنه، فقد قال عن إبراهيم بن هانئ: ‹‹ وكان ماجنا خليعا والعبث متحررا ولولا أن كلامه هو الذي أراد به الهزل يدخل في باب الحد ما جعلته صلة الكلام الماضي››[1] ونجد بأن الجاحظ قد لجأ إلى مثل هذا الأسلوب حتى لا يمل القارئ.

- **الكناية:**

إن الجاحظ من الذين عرضوا للكناية، فقد أشار إلى الكناية والتعويض وذكر أنهما لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف [2] فهي لا توضح ولا تكشف المعنى إذ تتكلم بشيء وتريد غيره فهي ترتبط بالإشارة والدلالة وكذلك الوحي، كما نقل الجاحظ عن شريح قوله عن الكناية: ‹‹ الحدة كناية عن البذاء ›› [3] فالجاحظ نقل مصطلح الكناية إذ عدها أبلغ من الإفصاح والشرح والتفسير كون فيها إيجاز وإخفاء للمعنى.

وقد ذكر ابن المعتز فنا من محاسن الكلام وهو :"التعريض والكناية" ولكنه لم يعطي لهما مفهوما وإنما اكتفى بذكرهما إذ اعتبرهما من محاسن الكلام وأجوده وأبلغه.

- **الإطناب:**

بقد تطرق الجاحظ في كتابه البيان والتبيين إلى مصطلح الإطناب وذلك عند وضعه لسهل ابن هارون بأنه شديد الإطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة وبالحلاوة والفخامة [4] فحسب الجاحظ الإطناب لا يعد إطالة إذا لم يجاوز الكلام حاجته فإذا تعداه أصبح عيبا في الكلام فالموضوع هو الذي يفرض على الصانع استخدام الإطناب، أو الإيجاز.

وهذا ما ذهب إليه العسكري في كتابه الصناع تين حيث رأي أن الحاجة إلى استعم ـال الإيجاز في موضعه، كالحاجة إلى استخدام الإطناب فيقول: ‹‹ القول القصد أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام فكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانـه، فمن أزال التدبير في ذلك في جهته واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب اخطأ ›› [1]. فالإطناب ليس عيبا إذا استخدم في موضعه وكان للكلام المطنب فائدة بل يعد بلاغة.

- **الأرصاد:**

لقد ذكر الجاحظ في تعليق له على كلام ابن المقفع الذي أشار إلى الأرصاد عند تحدثه في صناعة الشعر وقال الجاحظ: ‹‹ فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب حتى يكون

---

[1] **الجاحظ: البيان و التبيين ، ج1، ص93.**

[2] **م.ن:ص117.**

[3] **م.ن:ص263.**

[4] **م.ن، ص91.**

[1] **أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص125.**

لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك›› [2]. فالجاحظ يؤكد على ضرورة الربط بين أول الكلام وآخره، فالجاحظ نقل هذا المصطلح على ابن المقفع وحاول اتخاذه بمفهوم مبسط وذلك بتعليقه على قوله.

أما قدامة فقد أعطى تسمية جديدة على مصطلح الأرصاد إذ سماه بالتوشيح فيقول: ‹‹هو أن يكون أول البيت شاهدا بقافية ومعناها متعلقا به حتى أن الذي يعرف قافية القصيدة إلى البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره، وبانت له قافيته›› [3]. فرغم اختلاف تسمية قدامة عن الجاحظ لمصطلح الإرصاد لكنه في الحقيقة لم يتغير في المفهوم أو المعنى لأنه نفسه.

- **المزدوج :**

ونجد بان الجاحظ قد عقد في " البيان والتبيين" ما سماه :من مزدوج الكلام" في قوله: ‹‹قال عليه السلام في معاوية: " اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب"›› [4] وهنا سير الجاحظ إلى أن الازدواج هو ما تعادل بين الجمل والعبارات، فالجاحظ لم يعرفه لكنه اكتفى بذكر الأمثلة فقط.

كما أن للمزدوج معنى آخر في الشعر فهو ‹‹ما أتى على قافيتين إلى آخر القصيدة وأكثر ما يأتي على وزن الرجز››[5]

- **التشبيه:**

ذكر الجاحظ كثيرا مصطلح التشبيه في كتابه البيان والتبيين وقد قال في موازنته بين قول الرسول صل الله عليه و سلم " الناس كلهم سواء كأسنان المشط" وقول الشاعر:

سواء كأسنان الحمار فلا ترى لدي شبه منهم على ناشئ فضلا

وإذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته وتشبيه النبي – صل الله عليه و سلم — و حقيقته عرفت فضل ما بين الكلامين [1]. فالجاحظ لم يخص التشبيه بتعريف أو مفهوم يفسره إنما اكتفى بضربه أمثلة على التشبيه سواء شعرا أو أقولا.

وأيضا الجاحظ لم يفصل في التشبيه ولم يقسمه.

ولعل المبرد كان من الأوائل الذين درسوا هذا الفن وتطرقوا إليه في قوله ‹‹ واعلم أن للتشبيه حدا فالأشياء

---

[2] **الجاحظ :البيان والتبيين ،ج1،ص116.**

[3] **أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ص94.**

[4] **م.س، ج2، ص116.**

[5] **م.ن: ج3، ص246.**

[1] **ينظر: الجاحظ: البيان و التبيين، ج2، ص19.**

تشابه من وجوه وتتباين من وجوه وإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع» [2]. نجد أن المبرد قد فصل في التشبيه وبين عناصره من مشبه ومشبه به وذكر أيضا وجه التشابه.

- حسن الخروج:

لقد تطرق إليه الجاحظ في قدرة الشعراء والخطباء على حسن التخلص باستخدام كلام حسن وبليغ إذ يقول: «هو التخلص أو حسن التخلص أو براعة التخلص وقد أشار الجاحظ إلى ذلك وسماه كذلك ثعلب وتلميذه ابن المعتز» [3]. فقد سبق ابن المعتز الجاحظ إلى هذا المصطلح واستخدمه والجاحظ نقله عنه واتخذه ووظفه.

- **اللغز:**

لقد عقد الجاحظ بابا كاملا يتحدث فيه عن "اللغز في الجواب" فقال فيه: « كان الحطيئة يرعى غنما له وفي يده عصاه فمل به رجل فقال : يا راعي الغنم ما عندك؟ قال: عجراء سلم يعني عصاه، قال : إني ضعيف فقال الحطيئة للضيفان أعددها» [4]. فالجاحظ يرى في اللغز بلاغة وذلك في طريقة تصويره للمعنى وما يثير من إعجاب في المتلقي وذكر أيضا أشعار اللغز من ذلك أكل الأولاد العقرب بطن أمهم.

وقد ذكره أيضا ابن رشيق وأدخله في باب الإشارة فقال: «ومن أخفى الإشارات وأبعدها اللغز وهو أن يكون للكلام ظاهر عجيب لا يمكن وباطن ممكن عجيب» [1] فابن رشيق يوضح اللغز بأنه عدم التصريح بالمعنى وإعطاء إشارة تظهره.

- **المثل:**

لقد استعمل الجاحظ "المثل" بمعنى الاستعارة، فقال وهو يتحدث عن قول الشاعر:

هم ساعد الدهر الذي يتقي به وما خير كف لا نور يساعد

فقوله " هم ساعد الدهر الذي يتقي به " إنما هو مثل وهو الذي يسميه الرواة البديع فالجاحظ من خلال شرحه لهذا القول حاول تبيين الاستعارة وتوضيحها.

وقد تناولت الدراسات القرآنية والبلاغية مصطلح المثل وأشار إليها القراء وهو يتحدث في قوله تعالى {ذلك مثلهم في الإنجيل} [2] فالجاحظ نقل هذا المصطلح من سابقيه وأعاد توظيفه وشرحه بشكل جديد ومفصل.

---

[2] **أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية،ص186.**

[3] **م.س:ج3، ص366.**

[4] **الجاحظ: البيان و التبيين، ج2،ص147.**

[1] **ابن رشيق: العمدة، ج1، ص307.**

[2] **أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ج3، ص191.**

يعد كتاب " البيان والتبيين" من أهم مؤلفات الجاحظ ألفه بعد كتاب الحيوان تطرق فيه إلى نصوص البلغاء والشعراء والخطباء، وفصل في بعض الأمور البلاغية والنقدية أما موضوعه الأساسي فهو البيان، إذ كشف في معناه موضحا أراء السابقين فيه ومبرزا أهميته وفضله في صناعة الكلام، والجاحظ ركز على مصطلح البيان أكثر من التبيين في صناعته كونه نقل البيان من القرآن الكريم وأعاد استعماله في الأدب والنقد باستخدام طرق مختلفة في صناعة المصطلح البلاغي.

ومن خلال إحصاء المصطلحات المترادفة والمتناقضة مع مصطلحات البيان توصلنا إلى طرائق صناعة المصطلح الآتية:

3-الاشتقاق الأصغر:

المادة الاشتقاقية	المشتقات	التعريف	الجزء الوارد	المعنى المشترك/ غير المشترك
" بَ لَ غَ "	البلاغة	لقد تناولنا مفهوم البلاغة عند الجاحظ في المبحث الأول من الفصل الأول حيث لاحظنا أن الجاحظ لم يحصر البلاغة في شيء معين إنما جعلها تحمل معنى واسعا يشمل السكوت والموجودات وإعجازها، والبلاغة حسبه ليست فقط في اللسان بل تتعداه إلى بلاغة المنطق حيث يقول: ‹‹وذكر الله عز و جل لنبيه عليه السلام حال قريش في بلاغة المنطق ورجاحة الأحلام(...) ومن بلاغة الألسنة›› فالبلاغة عند	الجاحظ: البيان والتبيين ،ص 8.	جاء مصطلح البلاغة بمعنى إيصال المعنى إلى المتلقي وإفهامه وتوضيح المعنى له، أي الوصول والبلوغ إلى الشيء أو الغاية، وقد أورد الجاحظ العديد من الصيغ الاشتقاقية لمصطلح البلاغة تحمل نفس معناه.

		الجاحظ إيصال المعنى للمتلقي وإفهامه		
	الإبلاغ	ذكر الجاحظ في قوله: ‹‹وسأل الله عز وجل موسى ابن عمران عليه السلام حين بعثه بإبلاغ رسالته والإبانة عن حجته›› يقصد بمصطلح الإبلاغ إيصال الرسالة ومعناها للناس.	الجاحظ:البيان والتبين، ج1،ص7	
	يبلغ	ذكر الجاحظ في عدة مواضع من كلامه منها: ‹‹وقد يبلغ الفارس و الجواد الغاية في الشهرة›› فيبلغ تدل على الوصول إلى الشيء أو الغاية.	م.ن: ص ن.	

	البالغة	و قد ورد هذا المصطلح في : ‹‹وما أعطى الله تبارك وتعالى موسى عليه السلام من الحجة البالغة›› فالبالغة تعني الواضحة والمقنعة والتي لها تأثير في المتلقي.	م.ن:ص18	
	أبلغ	وقد ذكرها الجاحظ في قوله: ‹‹وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك، وأحق بالظفر››. فهي تعني الوصول وإيضاح المعنى.	م.ن:ص 88.	
	بليغا	ورد هذا المصطلح في قول الجاحظ : ‹‹ إذا كان الخليفة بليغا والسيد خطيبا›› فبليغا تعني القدرة على الكلام البليغ وإيصال المعنى للمستمع.	م.ن: ص 90	
	البلوغ	ذكره الجاحظ في قوله: ‹‹قبل التقدم في إحكام البلوغ في شرف التجويد›› فمصطلح البلوغ يعني الوصول إلى هدف أو غاية.	م.ن :ص 112.	

	بلغ	في قول الجاحظ: ‹‹هو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان خطبته المشهورة›› كذلك تحمل نفس المعنى السابق وهو الوصول.	م.ن :ص48.	
	المبالغ	و قد ورد هذا المصطلح في قول الجاحظ: ‹‹فبلغ في الترهيب و الترغيب المبالغ››.	الجاحظ: البيان و التبيين ج 1، ص407.	
	البلغاء	وذلك من خلال قول الجاحظ: ‹‹وأوجدها في كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم و علمائهم›› ويعني هذا المصطلح الأشخاص الذين لهم القدرة على صناعة الكلام البليغ يصل إلى المتلقي أو المستمع فيؤثر فيه.	م،ن: ص73.	

	بلاغ	وقد ورد هذا المصطلح عن تحدث الجاحظ تجنب الوحشي والسوقي من الألفاظ و المعاني و من أن الإنجاز فيه بلاغة فيقول: ‹‹وفي الاقتصاد بلاغ وفي التوسط مجانية للوعورة، وخروج من سيل من لا يحاسب نفسه›› أي إيصال للمعنى وفهمه.	م،ن: ص 255.	
	المبالغة	في حين نجد الجاحظ يستخدم في نصوصه مصطلحات مشتقة من البلاغة لا تتفق مع معناه الاشتقاق الأكبر: وقد ذكرها الجاحظ في قوله: ‹‹والمبالغة في وضوح الدلالة، لتكون الأعناق إليه أميل، والعقول عنه أفهم›› وهذا المصطلح يحمل في ما معناه نوعا من الزيادة في الأمر وإعطاء الشيء أكثر مما يستحق.	م،ن: ص7.	كما أنه اشتق مصطلحات من نفس المادة لكنها لا تحمل نفس المعنى وقد جاءت بمعنى إعطاء الأمر أكثر من حجمه

	المغالبة	وذلك في قول الجاحظ في نهي الرسول صلى الله عليه وسلم التزيد والتكلف والمماتنة والمغالبة ومصطلح المغالية يعني نوع من التملك والتصنع.	ينظر: م، ن ص 273.	
"فَ هَ مَ "	الفهم	وقد أدرجه الجاحظ ضمن البلاغة كونه مصطلح مرتبط بالمعنى والمتكلم فهذا الأخير عليه فهم معنى الكلام البليغ قبل إبلاغه للمتلقي حيث يقول الجاحظ: ‹‹وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم وتجلبها في العقل›› فالجاحظ يعد الفهم من أهم ما يجب للمتكلم البليغ امتلاكه في صناعة الكلام.	م،ن: ص 75	جاء مصطلح الفهم بمعنى الإفهام والتفهم أي التمكن من فهم المعنى وكذلك من تفهيم المتكلم حتى يستطيع أن يكون صانعا للكلام البليغ وقادرا على إيصاله للمتلقي بمعنى واضح ومفهوم
	الإفهام	وذلك في قول الجاحظ: ‹‹كان بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف›› فالجاحظ يؤكد على ضرورة إفهام المتلقي لمعنى الكلام الذي يقصده.	م،ن: ص111	
	أفهم	إذ يقول الجاحظ: ‹‹ إذ	م،ن: ص135	

		كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل›› أي فهم معنى العبارات والتمكن منه.		
	التفهم	وقد ذكره الجاحظ في قوله: ‹‹لأن مدار الأمر على البيان والتبيين وعلى الإفهام والتفهم، وكلما كان الإنسان بين كان أحمد ، كما أنه كلما كان القلب أشد إستباتة كان أحمد ›› فالتفهم يعني التفهيم أو فهم المعنى.	م،ن: ص11	
	المفهم	في قول الجاحظ: ‹‹والمفهم لك و المتفهم عنك شريكان في الفضل›› فالمفهم ويقصد به المتكلم الذي يصنع الكلام و يفهم معناه وهو الذي يفهمه للمتلقي ويبلغه إياه.	م،ن: ص ن	
	المتفهم	ورد في قول الجاحظ: ‹‹إلا أن المفهم أفضل من المتفهم، وكذلك المعلم والمتعلم، هكذا ظاهرة هذه القضية، وجمهور هذه الحكومة ›› ويقصد بالمتفهم المتلقي	م،ن: ص 11-12	

		الذي يسمع كلام المتكلم وقد فضل المتكلم عن المتلقي في القدرة على صناعة الكلام البليغ وإيصاله إليه بمعنى واضح وبليغ.		
	يفهم	في قوله: ‹‹أردد حتى يفهمه من لم يفهمه›› فالمتلقي لابد من فهم كلام المتكلم.	م،ن: ص104	
"فَ صَ حَ "	الفصاحة	إن مصطلح الفصاحة يتضمن كل من اللقطة والكلام والمتكلم وقد ذكره الجاحظ في قوله: ‹‹ وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقة›› وذلك بسلامة الكلام من التنافر والغرابة والسهولة في النطق.	م،ن: ص15	جاء مصطلح الفصاحة بمعنى سلامة اللغة والحروف من الغموض والغرابة والبعد عن التنافر والسهولة في النطق، فالفصاحة تخص المتكلم الفصيح.
	الإفصاح	وقد ذكره الجاحظ في قوله: ‹‹ومدح القرآن بالبيان والإفصاح وتجنب التفصيل والإيضاح›› فالجاحظ قد استدل بالقرآن لبيان المعنى	م،ن: ص8	

		وتوضيحه وبعده عن الغرابة والغموض.		
	الفصحاء	وذلك في قول الجاحظ: ‹‹من طول استماع حديث الأغراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء›› ويقصد بمصطلح الفصحاء الذين يصنعون كلاما فصيحا خاليا من التنافر بعيدا عن الغي.	م،ن: ص145	
	فصيحة	ذكرها الجاحظ في قوله: ‹‹ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة، إنما الفصاحة لنا أهل مكة›› فالفصاحة لا تخص المتكلم، حيث نجد بأن الفصاحة أيضا تتضمن اللغة التي تخص كل قوم.	م،ن: ص18	
	أفصح	وقد ورد في قوله: ‹‹هذا وهو يعلم أن لغة من قال برً: أفصح من لغة من قال قمح أو جنطة›› وقد جاء مصطلح أفصح في صيغة التفضيل أي تفضيل لغة على أخرى في فصاحتها.	م،ن: ص17	
	الفصيح	وذلك في وصف الجاحظ	م،ن: ص323	

		لأبو نوفل بن أبي عقرب من أنه علامة ناشئا خطيبا فصيحا فالجاحظ يخص الفصاحة للمتكلم الصانع للكلام الفصيح وأيضا اللقطة الفصيحة.		
		الفصاحة وضدها: الفصاحة/ العي: كما نجد بان الجاحظ قد لجأ إلى استخدام الضد وذلك حتى يتضح المعنى للقارئ إذ أن بالأضداد تعرف المعاني، كما أنه خصص في الجزء الثاني من البيان:" باب في العي" و قد ذكر الجاحظ في العي في تعبيره عن البيان في قوله: ‹‹ البيان بصر والعي عمى، كما أن العلم بصر والجهل عمى، والبيان من نتاح العلم والعي من نتاح الجهل›› فالعي ضد البيان، وهو م ا كان لفظه غير فصيح و فيه غرابة وصعوبة في الفهم. الفصاحة/اللحن: لقد ذكر	الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص77.	جاءت هذه الأضداد كلها بمعنى اللفظ غير الفصيح، وتكون فيه غرابة وصعوبة في الفهم، وألفاظه متنافرة وغير بليغة.

		الجاحظ هذا المصطلح واعتبره من عيوب الكلام، وعدم بلاغته، إذ عد اللحن هو الخطأ والخروج عن الإعراب ويذكر أن الجاحظ لم يوفق في هذا المصطلح كونه لم يفهم معناه الحقيقي وذلك لما رواه الخطيب البغدادي عن يحي بن علي.	ينظر: م،ن: ص167. ينظر:م ن ،ص ن	
		الفصاحة/التنافر: ذكر الجاحظ مصطلح التنافر وعده عيبا في الكلام إذ أن العرب كانت لها ألفاظ تنافر وغن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه فالحروف المتقاربة في المخارج تسبب إشراكها في النطق وكذلك التعتعة فتكون وعرة وغير متناسقة وأيضا الألفاظ المتنافرة غير فصيحة و لا بليغة .	ينظر: م، ن: ص67.	
"سَ جَ عَ"	السجع	لقد ذكر الجاحظ السجع	م،ن:ص287	جاء مصطلح السجع

		وجعله في الكلام لكنه لم يورد تعريفا له إذ يقول: ‹‹ثم تأثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافي›› فالسجع من المحسنات البديعية التي يستخدمها الصانع في صناعته للكلام.		بمعنى الجمال فهو من المحسنات البديعية التي أضفت جمالا في المعنى وقوة في المبنى.
	الأسجاع	ويقصد الجاحظ بمصطلح الأسجاع أي الكلام الذي فيه سجع إذ يقول: ‹‹ومن الأسجاع قول أيوب بن القرية:" قد طال السهر وسقط القمر، واشتد المطر فيما ينتظر"›› وهذه العبارة فيها سجع بانتهاء كل جملة فيها بحرف واحد وهذا هو السجع.	م،ن:ص298.	
	سجّاعا	و قد ذكره الجاحظ في قوله: ‹‹و كان طليحة خطيبا و شاعرا و سجاعا كاهنا ناسيا›› و قد جاء هذا المصطلح على صيغة المبالغة فعالا و هي تعني التمكن من استخدام السجع في الكلام و الإكثار منه.	م،ن:ص359.	

	السجَّاعة	ورد هذا المصطلح عند ذكر الجاحظ لكلام أبي بكر وقد قال له أحدهم:"تعلمت أبا بكر السجاعة عند الكبر" فأسجع جاءت على صيغة التفضيل و هي تحمل معنى القدرة على استخدام السجع في الكلام أفضل من غيره	م،ن:ص301	
	أسجع	وذلك في قول الجاحظ : ‹‹أكهن العرب وأسجعهن سلمة بن أبي حبة، وهو الذي يقال له عزى سلمة›› فأسجع جاءت على صيغة التفضيل وهي تحمل معنى القدرة على استخدام السجع في الكلام أفضل من غيره.	م،ن:ص358.	

4- المجاز:

المادة	المشتقات	التعريف	الجزء الوارد	المعنى:المشترك/غير مشترك
"صَ نَ عَ"	الصناعة	لقد نقل الجاحظ مصطلح الصناعة من معناها الحقيقي	م،ن :ص47.	جاء مصطلح الصناعة بمعنى الحرفة إذ أن صناعة الشعر والكلام

		واستعملها في مجالها التي اعتادت عليه وهو الخزفة إذ تختص بالصناعات الأخرى كالبناء والتجارة وغيرها إلى المجال النقدي الأدبي إذ جعل الكلام صناعة الكاتب أو المتكلم صانعا لها وقد ذكرها الجاحظ في عدة نصوص من كتابه "البيان والتبيين" يتحدث فيها عن صناعة الكلام. وقد وردت في وصفه الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة فيقول: ‹‹الذي اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة والقرابة والمجاورة›› فالجاحظ يعد الشعر والنثر والكلام صناعة مثلها مثل الصناعات		صناعة مثلها مثل الصناعات الأخرى، ويكون الكاتب أو المتكلم هو الصانع لها.

		الأخرى.		
	صنيع	وذلك في قوله: ‹‹صنيع الغيث في التربة›› فالجاحظ قد شبه الكلام الجيد ومدى تأثيره في المتلقي وصناعته فيه كصناعة المطر في التربة.	م،ن :ص83.	
	صانع	وقد ذكره الجاحظ في قوله: ‹‹إنما المؤمن بين مخافتين: بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه›› فالله تعالى صانع الموجودات و المتحكم فيها، فالإنسان مصنوع قبل أي يكون صانعا.	م،ن :ص303.	
	صنع	ورد هذا المصطلح في قوله: ‹‹فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا (...) صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة	م،ن :ص83.	

		›› فالكلام البليغ والمستحسن له صناعة كبيرة في قلب وسمع المتلقي.		
	يصنع	وذكرها الجاحظ أثناء تحدثه عن صناعة الشاعر للقصائد والأبيات يقول: ‹‹ومن الخطباء الشعراء ومن يواف الكلام الجيد، ويصنع المناقلات الحسان ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة›› فالشاعر صانع تكمن صناعته عن الكلام واختياره وجعله في أبيات شعرية لها نغم وقافية.	م،ن :ص51.	
	الصنعة	فمصطلح الصنعة تختلف عن معنى الصناعة في قوله: ‹‹ قيل لجعفر بن يحي ما البيان: قال أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلى عن مغزاك	م،ن :ص106.	كما أنه اشتق مصطلحات من نفس المادة لكنها لا تشترك في نفس المعنى وقد جاءت بمعنى التكلف.

		(...) أن يكون سليما من التكلف، بعيدا عن الصنعة، بريئا من التعقد، غنيا عن التأويل›› فالتصنع في الكلام فيه قبح وتكلف وعدم القدرة على صنع الكلام والتمكن من هذه الصناعة.		
	البيان	ورد مصطلح البيان عند الجاحظ بمعنى الظهور والإيضاح والفهم فقال: ‹‹البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب، دو ن الضمير حتى يقضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل	الجاحظ: البيان والتبيين ،ج 1،ص 76.	وقد جاء مصطلح البيان بمعنى الكشف والإيضاح والفهم والإفهام ونجد بأن الجاحظ قد أورد العديد من المصطلحات تشترك في نفس معناه.

		والسامع، إنما الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع›› فالجاحظ استخدم مصطلح البيان للدلالة على الفهم و الكشف عن الغموض وإيصال المعنى.		
	التَبين	وجاء في قول الجاحظ في معرض دفاعه عن البيان قوله: ‹‹وما نشك أن النبي عليه السلام قد نهى عن المراء(...) فأما نفس البيان فكيف نهى عنه و أبين الكلام كلام الله وهو الذي مدح النبيين وأهل التفضيل›› فالتبيين هنا جاء بمعنى الفهم والإيضاح والكشف عن المعنى.	م،ن :ص273.	

	التَبَيّنُ	ويحمل التبين نفس معنى البيان في قوله: ‹‹ لأن مدار الأمر على البيان والتبين وعلى الإفهام والتفهم وكلما كان اللسان ألين كان أحمد›› فالتبين جاء بمعنى الفهم والإفهام، فإذا كان اللسان بين كان الفهم أوضح.	م،ن :ص11.	
	مبين	وجاء في قوله: ‹‹أن صاحب المنطق قال :حد الإنسان الحي الناطق المبين›› وقال أيضا: ‹‹وأنه تعالى أنطق إسماعيل بن إبراهيم عليها السلام بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين›› فالمبين جاء بمعنى الكشف عن المعنى ومبين له.	م،ن :ص77. م،ن :ص290.	
	الإستبانة	فالإستبانة هي الوضوح والفهم وجاء	م،ن :ص84.	

		قوله: ‹‹قال علي بن الحسين: لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الإستبانة وجملة الحال في صواب التبيين لأعربوا عن كل ما تحلج في صدورهم›› فالإستبانة تحمل معنى التبيين والوضوح.		
	الإبانة	وجاء في قول الجاحظ: ‹‹فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل وجعل الفصاحة واللكنة... والإغلاق والإبانة ... كله سواء وكله بيان›› فالإبانة عن كشف المعنى وتبيينه. كما أن الجاحظ جعل الإبانة في وضوح الحروف عند النطق بها مميزا بعضها من بعض في قوله: ‹‹وقد صحت التجربة	م،ن :ص162. م،ن :ص61.	

		وقامت الغيرة على ان سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها و خالف أحد شطريها الشطر الآخر ›› فالإبانة عن الحروف تكون من خلال مخارج النطق.		
	أبينَ	وقد جاء في قول الجاحظ عند شرحه البيان: ‹‹وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجح›› فقد جاء أبين بمعنى أوضح وأفهم.	م،ن :ص75.	
	بيّن	وجاء في قوله عن أبي بكر الهذلي:‹‹كان خطيبا قاصا وعالما بينا وعالما بالأخبار والآثار›› وقال أيضا: ‹‹ كان عقيل بن أبي طالب ناسبا عالما بالأمهات، بين	م،ن :ص322.	

		اللسان سديد الجواب›› فالبين هو من يكون عالما ومثقفا لما حوله وما يدور به من أخبار وأثار وأن يكون لسانه فصيحا وجوابه معقول.		
	التباين	اشتق مصطلح التباين من البيان إلا أنه يختلف في معناه إذ أورده الجاحظ بمعنى الاختلاف وعدم الائتلاف حيث يقول: ‹‹وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملسا ولينة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة ، متنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده الأخرى تراها سهلة لينة ورطبة ›› فالجاحظ جعل معنى التباين في التنافر وعدم التناسق	م،ن :ص67.	كما أنه اشتق مصطلحات من نفس المادة لكنها لا تحمل نفس المعنى وقد جاءت بمعنى الاختلاف وعدم التناسق والتنافر

		وكذلك الاختلاف وعدم التطابق وهو عند الجاحظ قبح وعيب في الكلام. فالتباين ضد البيان كون الأول يعد من عيوب الكلام حيث يجعله غير بليغ وبعيدا عن الحسن.		

وقد ذكر الجاحظ أساليب الكلام وجعلها في خمسة أشياء: اللفظ، الإشارة، العقد، الحظ، الحال أو النصبة.

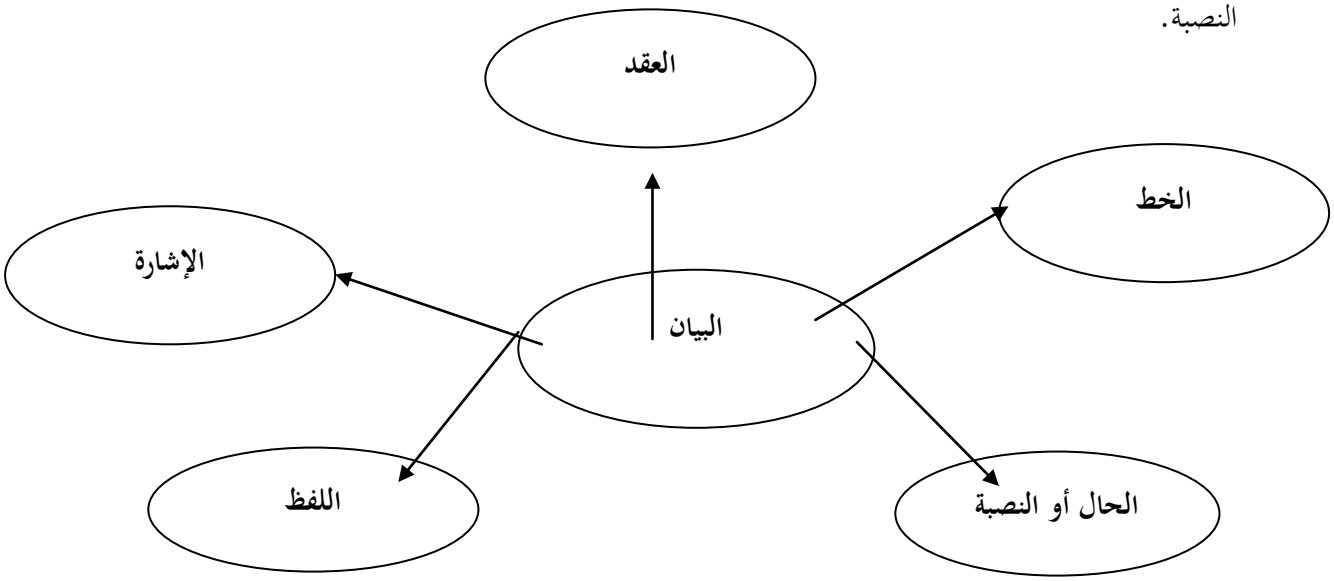

1. اللفظ:

لقد اهتم الجاحظ باللفظ وفضله على المعنى إذ عالج في كتابه " البيان والتبيين" ضرورة اهتمام المتكلم به وحسن اختياره في قوله: ‹‹ وكما لا ينبغي أي يكون اللفظ عاميا وساقط سوقيا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا›› [1]. واللفظ يجب أن يكون واضحا لا يعتريه الغموض واللبس فالعلاقة التي تجمع اللفظ بالمعنى علاقة تلازمية، إذ يجب أن يكون متناسب ومتوافق مع المعنى في قوله: ‹‹إلا أني أزعم أن سخيف الألفاظ، مشاكل

[1] **الجاحظ: البيان و التبيين ،ج1، ص144.**

لسخيف المعاني ، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع، وربما أمتع بأكثر من إمتاع الحزل الفخم من الألفاظ والشريف الكريم من المعاني ›› [2]. فإذا كان اللفظ سخيف فإن المعنى سيكون كذلك، فكل حسب مقامه.

2. **الإشارة:**

وقد ذكرها الجاحظ وجعلها تكمن في العين، الحاجب، اليد، الرأس، المنكب إذ يقول: ‹‹إذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف فقد يتهدد رافع السيف والسوط فيكون ذلك زاجرا ومانعا لاذعا ويكون وعيدا وتحذيرا ››[1].فالجاحظ جعل البلاغة في الإشارة، فالشخص قد يصله المعنى بواسطة إيماءة تدله وتوصله إلى المعنى.

3. **العقد:**

إذ جعل الجاحظ العقد مرتبط بالحساب بعيدا عن اللفظ بقوله: ‹‹ وأما القول في العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط فالدليل على فضيلته، وعظم قدر الإنتقاع به قول عز وجل:{فَالق الإصبَاح وجَاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم } والحساب يشتمل على معاني كثيرة ومنافع جليلة ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة›› [2]

4. **الخط:**

وقد جعل الجاحظ الخط وسيلة من وسائل التعبير مثل الفظ تماما و قد ورد في قوله: ‹‹ القلم مطلق في الشاهد و الغائب و هو للغابر الخائن مثله للقائم الراهن›› [3] فالخط وسيلة للتعبير عن المعاني بواسطة الحروف المكتوبة إذ أنه يختلف عن اللفظ في كون اللفظ يعتمد على الصوت أما الخط فيعتمد على الحبر.

5. **الحال (النصبة):**

فقد عبر عنها الجاحظ بالحالة التي تدل على شيء معين بقوله: ‹‹ وأما النصبة فهي الحالة الناطقة بغير اللفظ و المشيرة بغير اليد، وذلك ظاهرا في خلق السماوات والأرض وفي كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاغن وزائد وناقص›› [4]. فالنصبة هي الحال التي تبين وضعية الإنسان أو الشيء دون استعانة باللفظ أو الإشارة.

---

[2] م،ن :ص**145**.

[1] **الجاحظ :البيان والتبيين ،ج1 ، ص76**.

[2] **م، ن ص80**.

[3] **م، ن :ص ن**

[4] **م.ن، ص 273**.

المبحث الثاني:

صناعة المصطلح والعناصر التداولية في البيان والتبيين

يعد الجاحظ من النقاد الذين اهتموا بفنون البلاغة العربية ، وذلك من خلال وضعه لكتاب البيان والتبيين حيث ركز فيه على المصطلحات البلاغية الواردة في أقوال وأحاديث مختلف البلغاء والخطباء إذ أعاد استعمالها وتوظيفها بطريقة مختلفة جعلت اللغويين من بعده يعتمدون عليه في صياغة مفاهيم واضحة ودقيقة تخص المصطلحات البلاغية، فالجاحظ قد أشار إلى مجموعة من العناصر يمكن أن تدخل ضمن اللسانيات التداولية أو ما يسمى بالعناصر التداولية من متكلم، ومتلقي، والمقام في حدود الفهم والإفهام.

1_المتكلم:

لقد أولت اللسانيات التداولية اهتماما كبيرا بالمتكلم و دوره في العملية التواصلية كونه صانع ا لكلام، فالمتكلم يمتلك الجهاز الصوري للغته ، ويعلن عن موقفه كمتكلم من خ ـلال أمارات خاصـة، لكن بمج ـرد أن يقوم بذلك، يقوم في ذات الوقت بتنصيب الآخر قبالته أيا كانت درجة الحضور لتي يحولها للآخر [1]. فالمتكلم له مكانة هامة خاصة في نظرية التلفظ التي تمثل إحدى النظريات الأساسية في اللسانيات التداولية، وقد دعي بمتكلم صانع الأقوال يتدخل في الخطاب كبعد في إطار شروط معينة لتحقيقها [2].

ويعد الجاحظ من بين الأوائل الذين اهتموا بالمتكلم في الدراسات العربية القديمة، حيث ق دم له العديد من التوجيهات والإرشادات التي تمكنه من الحذق في صناعته، وتجنب الوقوع في عيوب الكلام من تكلف وتصنع وإطناب في الحديث، فحسبه الصانع الحقيقي هو الذي يمتلك القدرة على تخيير الألفاظ والتماس المعاني والبراعة في صياغة القوالب النثرية والشعرية، فالمتكلم يجب أن يكون رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ [3]. فالجاحظ يؤكد على ضرورة أن يكون المتكلم قادرا على إيصال الفهم للمتلقي في قالب واضح وسهل، بعيدا عن الغرابة والتعقيد سواء في الألفاظ أو المعاني، ولتحقيق ذلك يجب على المتكلم التوسع في قراءة العلوم والآداب قبل بدئه في هذه الصناعة، إذ عليه أن يملك الرغبة في التعلم وكسب المهارة من أجل صناعة كلام حسن وجيد يتضمن ألفاظ ومعاني سهلة وواضحة بعيدة عن التعقيد وتشابك الأفكار مع بعضها البعض مما يؤدي إلى استبهام المعنى والوقوع في اللبس فيقول: ‹‹ فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا ويكون معناك ظاهر مكشوفا وقريبا معروفا اما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عن د العامة إن كنت للعامة أردت››[1]. فالجاحظ يؤكد على المتكلم ضرورة ائتلاف الألفاظ والمعاني وتناسبها مع الفئة الموجهة لها فالطبقة

---

[1] **الجاحظ: البيان و التبيين، ص 136.**

[2] **ينظر: حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، ط2، دار الأمل ، الجزائر، ص19.**

[3] **ينظر: م، س ،ص20.**

[1] **الجاحظ:البيان والتبيين، ص 136.**

الخاصة أو المثقفة لها مصطلحات خاصة بها، والعامة من الناس كذلك لهم مصطلحاتهم ويتمثل أنواع المتكلمين الذين ينتمون للطبقة الخاصة في الشعراء والبلغاء وأيضا في الحكام والأئمة وغيرهم ،أما بالنسبة للطبقة العامة فتتمثل في عامة الناس البسطاء وغيرهم والجاحظ لم يصغ نفس المصطلحات في الحديث عن البلاغة إنما اختلفت المصطلحات حسب المتكلمين . إذ يقول: ‹‹ وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا، وساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس،كما يفهم السوقي رطانة السوق، وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن، والقبيح والسّمج، والخفيف والثقيل، وكله عربي وبكل قد تكلموا وبكل قد تمادحوا وتعايبوا››[2]. فالجاحظ يفرق بين صانع الكلام الذي يكون من الطبقة الخاصة بأن يخير ألفاظه ومعانيه فلا يستعمل السوقي والغريب الحوشي من الكلام لأن ذلك خاص بالمتكلم العامي والبدوّي فكل صانع له مصطلحات تعبر عن انتم ــاءه وثقافته، فالناس في طبقات وكذلك الكلام في طبقات وكل طبقة تنفرد بقاموس لغوي خاص بها يراعى المكانة التي تنتمي إليها فالجاحظ لا يهمل مكانة المستمع و يحث الصرّاع على ضرورة فهم ما يؤلفونه وأيضا تحقيق الإفهام للمتلقي فكل فئة في المجتمع لها مصطلحات خاصة بها.

والجاحظ في استخدامه أو صناعته للمصطلحات فيها ما يقابلها بضدها ، ومنها ما يقابلها بمرادفها، فعند تحدثه عن الشعراء كان يستخدم مصطلح الفصاحة فيقابله في بعض نصوصه بضده وذلك في قوله: ‹‹ فأما التي هي على الغين فهي أيسرهن ويقال إن صاحبها لو جهد جهده وأخد لسانه، وتكلف مخرج الراء على حقها والإفصاح بها لم يك بعيدا من أن تجيبه الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التعهد أثرا حسنا›› [3]. فالفصاحة يفسدها العي من لثغة وتشدق وعدم إخراج الحروف من مخارجها ما يجعل الكلام غير فصيح ومتنافر، و يصور الجاحظ بعض الأشعار التي تتحدث عن العي مثل قول بشير بن المعتمر: [4]

ومن الكبائر مقول متتعتع جّم التنحنح مُتعب مبهور

فبشير بن المعتمر تحدث في بيته الشعري هذا عن التعتعة التي يستعملها الشاعر أو الخطيب في خطبته وعدها عيب إذا لم يستطع الصانع التغلب عليها، فالفصاحة يفسدها العي ويصبح الكلام غير بليغ فلا يعجب المتلقي ويصير المتكلم يوصف بأنه غير حاذق في صناعته.

وذكر الجاحظ أيضا أن الأبيات الشعرية التي تكون حروف ألفاظها متقاربة المخارج تحدث تنافر في النطق ولا يستطيع المتكلم تكرارها ثلاث مرات وذلك في قول الشاعر:[1]

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

---

[2] م.ن :ص 144.

[3] م.نص 36.

[4] ينظر: م.ن ،ص41.

[1] ينظر: الجاحظ:البيان والتبيين، ص65.

فهذا البيت الشعري غير فصيح و ألفاظه تعتريه التنافر والقبح.

فالجاحظ خصص لكل متكلم مصطلحات خاصة به فالشعراء جعل لهم مصطلحا تهم من لحن ،وفصاحة وعي، وما يدخل ضمن الصناعة الشعرية وأيضا وجه الشاعر بضرورة أن يكون الكلام متناسب مع بعضه البعض حتى لا يشق على اللسان إنشاده يقول: ‹‹وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملسا ولينة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشق على اللسان وتكدّه والأخرى تراها سهلة لينة، ورطبة متوايتة، سلسة النظام، خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واح د» [2]. كفالشعر الجيد الذي يكون متلاحم الأجزاء ومتشابك، يسهل على المتكلم نطقه وواضح المعاني.

أما عند البلغاء فالجاحظ لم يصنع مصطلحات ولم يصوغها إنما نقل اقتباسات أورد فيها مصطلحات بلاغية تهتم بالمتكلم البلاغي إذ يقول: سمعت أبا مسلم يقول: سمعت الإمام إبراهيم ابن محمد يقول :‹‹ يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتي السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتي الناطق من سوء إفهام السامع›› [3]. فمصطلح الفهم خاص بالمتكلم الجاحظ استخدمه للتعبير عنه وذلك بضرورة فهم المتكلم لصناعته قبل إخراجها للمتلقي.

فالمتكلم عند الجاحظ قسمه كل حسب صناعته وخصص لكل قسم منهم مصطلحات خاصة به فالبلغاء لهم مصطلحات من بلاغة وبيان ومجاز وائتلاف اللفظ مع المعنى، وأما الشاعر فكذلك له مصطلحات يركز فيه على ضرورة إقناع المستمعين واستعمال الحجج في الخطب وقد ذكر ذلك في المبحث الثاني من الفصل الأول، فالمتكلم يجب أن تكون له صفات الصانع الحاذق والماهر في صناعته.

2- المتلقي:

يمثل المتلقي العنصر الثاني في العملية التواصلية بعد المتكلم إذ لم يهمله الجاحظ بل أراد من الصانع أن لا يكون هدفه السعي فقط إلى إخبار المتلقي بمعلومات يجهلها، ولكن يحاول التأثير فيه واكتساب ثقته والوصول إلى تصور لم يتصوره هو سالفا [1]. فالصانع أو المتكلم الذي لا يحقق الإفهام للمتلقي والإعجاب به لا يكون صانعا ماهرا، فالجاحظ ركز على تحقيق المتعة والإثارة للمتلقي ، وليس بالضرورة أن يكون الكلام جزلا وشريف المعاني حتى يحقق الامتاع للمتلقي، بل السخيف من الكلام يكون فيه متعة وسهولة أكثر من الكلام الجيد.

والجاحظ أيضا ركز على وضعية المتلقي والمكانة التي ينتمي إليها حتى يكون كلامه واضحا وسهلا فالعامّي له قاموس خاص به والخاص كذلك، فالجاحظ نفسه صانع الكلام إلا أنه لم يختص بفئة معينة، بل كتب إلى الناس جميعا على اختلاف ثقافتهم ومداركهم ، لا إلى طائفة مختصة فهو عامي خاصي [2]. فالجاحظ يعطي أهمية

---

[2] م.ن، ص67.

[3] م.ن، ص87.

[1] ينظر: حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 19.

[2] ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ص20.

كبيرة لمكانة المتلقي وذلك بتخصيص مصطلحات خاصة بكل فئة ، فالعامي له مصطلحاته والمتلقي له مصطلحاته التي تلاؤم ثقافته، وقد ذكر الجاحظ أن حديث الأعراب العقلاء الفصحاء والعلماء البلغاء يكون ممتعا وشاملا لجميع الطبقات وذلك في قوله: ‹‹إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنق، ولا ألذ في الأسماع، ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء، وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا››[3]. فالجاحظ يؤكد أن الكلام الجيد هو الذي يحقق الإمتاع والتأثير في المتلقي.

والجاحظ في صناعته لمصطلحات المتلقي راعى طبقات المتلقين فالخاصة لها مصطلحاتها وتتمثل هذه الطبقة في الملوك، والأمراء، والأئمة وغيرهم من الذين لهم ثقافة ومكانة راقية، وكذلك بالنسبة للعامة من الناس إذ يقول الجاحظ: ‹‹ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعـــاني، ويوازي بينه ــا ،وبين أقدار المســتمعين ، وبين أقـــدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما ››[1]. فالجاحظ اعتنى كثيرا بالمتلقي وبالمكانة التي ينتمي إليها فجعل للملك لغته والناقد مصطلحاته وللعامي كذلك، فالإفهام لا يتحقق للمستمع أو المتلقي إلا إذا كان الكلام يراعي ثقافته وانتماءه، فلا يعقل أن تخاطب عامي من الناس بلغة الملوك وحياتهم فهذا يجعله يشعر بالملل وعدم الإعجاب بصناعة المتكلم.

أما في الخطابة فقد كان تركيز الجاحظ أكثر على مصطلح الإقناع والتأثير في المتلقي باستعمال الحجج والعبارات المقنعة والألفاظ القوية والشريفة ، حتى يشد أذان المستمعين إليه ويؤثر فيهم محاولا إقناعهم بالموضوع الذي يراد إفهامه وتوصيل معناه للمتلقي.

3–المقام:

يعد الجاحظ من اللغويين الذين اهتموا بالمقام أثناء صناعتهم للكلام ، إذ دعا إلى ضرورة موافقة الألفاظ وتناسبها مع الموضوع الذي تعبر عنه، فالكلام البليغ عنده هو الذي يكون مطابقا لمقامه إذ يقول: ‹‹ إلا أني أزعم أنّ سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع››[2]. فالجاحظ يرى أن الألفاظ السخيفة يجب أن تكون معانيها سخيفة تلاؤم المقام الذي فيه المعاني، وهو مقام السخف، فلا تصاغ مصطلحات تتضمن السخف في مقام الجد وقد يحتاج إلى السخيف من الكلام لأنه قد يحقق المتعة للمستمع أكثر من الكلام الجيد.

وقد أورد الجاحظ مصطلحات بلاغية تراعي مقام المتكلم منها مطابقة الكلام لمقتضى الحال وأيضا مراعاة مقتضى الحال؛ حيث تدل على ضرورة الاعتناء بالمقام أثناء صناعة الكلام ويذكر ذلك في قوله: ‹‹ وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن **الجوع، إلا**

---

[3] م.ن: ص**145**.

[1] الجاحظ: البيان والتبيين: ج**1**ص**138**.

[2] م.ن، ص **145**.

في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر والناس لا يذكرون ال سّغب ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة ›› [3]. فالألفاظ المستخدمة في التعبير يجب أن تكون متلائمة مع المقام التي تعبر عنه لأنها إن خالفته لم يعد لها تأثير وكذلك لم تعد فصيحة ولا بليغة لأن من شروط البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال فإن خالفته أصبحت معقدة وغير واضحة ولا تستو في في التعبير عن الموضوع المختار فالمتكلم أو الصانع عليه مراعاة المقام حتى يكون كلامه حسنا ومتناسبا مع موضوعه.

وأورد الجاحظ كذلك أن الألفاظ إذ لم تقع في مقامها أصبحت غريبة وحوشية، ولا تؤدي المعنى التي وضعت من أجله مما يجعل المتكلم يتعاطى الصنعة والتكلف في كلامه فيخرج عن المقام الذي يكتب فيه ويقول: ‹‹ فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك وفي أول تكلفك، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقلة في مكانها ، نافرة من موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير الأوطان››[1].

فالجاحظ يؤكد على أن الشعر يحتاج إلى كلام موزون وإلى قافية تتناسب مع الألفاظ والمعاني التي تعبر عن مقام تتآلف معه، فالشعر الجيد يكون بموافقة الألفاظلمقامه، فمصطلحات الملك تكون موافقة لمقامه ومصطلحات السوقي متناسبة مع مقامه السوقي، فالمتكلم ينبغي أن يعرف أقدار كل قسم ويقسمها حسب تلك الأقدار فيجعل لكل طبقة كلام ، ولكل حالة مقام يعبر عنها [2]. فكلما كانت المعاني متلائمة مع المقامات التي تعبر عنها كلما كان الكلام حسنا وبليغا بعيدا عن التنافر والاستكراه.

---

[3] م.ن، 20.

[1] الجاحظ: البيان والتبيين:ج1، ص138.

[2] ينظر: م.ن : ص 139.

المبحث الثالث: تقييم تجربة صناعة المصطلح لدى الجاحظ:

يعد الجاحظ من النقاد الأوائل الذين أسسوا للدرس البلاغي إذ ساهم في ثراء اللغة العربية وتطويرها عبر العصور المختلفة و ذلك من خلال صياغته لعدّة مؤلفات، إلا أن هناك تضارب في الآراء حول تجربته البلاغية والنقدية في كتاب البيان والتبيين.

تميز الجاحظ عن باقي النقاد واللغويين بأسلوبه الاستطرادي الفريد إذ كان ينتقل من فكرة إلى أخرى ثم يعود إلى الفكرة الأولى بغية طرد الملل من نفسية القارئ إذ أنه «يطالعك من بارع أدبه بكل مبدع ويعلمك في سهولة ويسر لا يشّق عليك ويستهويك وأنت لا تدري وتعجب بما فيه من ديباجة حسنة أو بمعنى دقيق أو تحقيق أو إحاطة فلم يكن بجيد شيئا دون شيء بل كانت علومه ومعارفه كلها على حدّ سواء في الإجادة و الإتقان »[1] فقد كان الجاحظ مبدعا، إذ أنه أضاء طريق العلم وأضاح مسالكه.

1- تقييم المصطلحات من حيث الدقة والوضوح:

نجد الجاحظ في صناعته للمصطلحات البلاغية لم يراعي مسألة الدقة والوضوح في استخدامه لتسميات المصطلح، بل أطلق مصطلح واحد على عدة تسميات، فمثلا نجده في مصطلح الاستعارة يطلق عليها في بعض النصوص بدل، وسماها الجاحظ بدلا عند تعليقه على قوله تعالى: "فإذا هي حيّة تسعى" [2]. فالجاحظ لم يضبط المصطلحات بتسميات تجعل المفهوم جامعا مانعا لها كما أنه استعمل "المثل" بمعنى الاستعارة وذلك في تعليقه على بيت الأشهب ابن رميلة إذ يقول: «"هم ساعد الدهر" إنما هو مثل وهذا الذي تسميه الرواة البديع" »[3] ونجد بأن الجاحظ قد اختلف مع سابقيه قد اختلف في تسميته للمصطلحات ، حيث أنه في استخدامه لمصطلحاته لم يراعي مسألة الدقة فكانت مصطلحاته فضفاضة ومتداخلة في معانيها.

كما نجد أيضا في صناعته لبعض مصطلحاته يكتفي بذكر شواهد وأمثلة تدل على شرح مفهوم ذلك المصطلح، فمثلا عند ذكره "لمزدوج الكلام" اكتفى بذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم في معاوية «اللهم علمه الكتاب والحساب وقه عذاب العذاب ».[1] ويشير الجاحظ هنا إلى أن معنى الازدواج يعني التعادل في العبارات والجمل.

كما أنه تطرق إلى الاقتباس لكن دون شرحه والتفصيل فيه بل اكتفى بذكر أمثلة عليه وجاء في قوله: « خطبت عند زياد خطبة ظننت أني لم أقصر فيها عن غاية »[2] فالجاحظ في كتابه لم يفصل ويشرح العديد من المصطلحات ولم يحدّد معناها وإنما حددها بأمثلة تدل عليها.

---

(1) فوزي السيد عبد ربه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ، في البيان والتبيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005، ص27.

(2) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ص153.

(3) ينظر: م. ن، ص271.

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، ج2،ص116.

(2) أحمد مطلوب:معجم المصطلحات البلاغية، ص119.

ونظرا للتداخل الحاصل بين المصطلحات عند الجاحظ نجده يسمي «البلاغة تارة "بيانا" وتارة "تبينا" وتارة أخرى "بلاغة" ».[3] فالمصطلحات متشابهة عنده فهو لم بفصل بينها فصلا تاما بل جعلها مختلطة « وعرف الجاحظ بقدرته على التحكم في الألفاظ ولإبداع فيها بطريقته الخاصة غير أنه عيب عليه ذلك، حيث أن هذه المفاهيم كانت متشابهة ومتقاربة وفي نفس الوقت تباينها وتباعدها فمثلا البيان هو التبيين، هو البلاغة، لكن البيان ليس التبيين وليس البلاغة»[4] .

فالجاحظ في صناعته للمصطلحات لم يكن واضحا ودقيقا سواء في صياغة التسمية أو المفهوم ما جعل المصطلحات متداخلة مع بعضها البعض وهذا ما أدى في أحيان كثيرة إلى غموض واستبهام المصطلحات لدى الجاحظ.

2 – ثراء طرائق الصياغة:

لقد كان للجاحظ بصمته الخاصة في صناعته للمصطلحات البلاغية إذ أنه اعتمد على طرائق متنوعة منها "الاشتقاق" الذي استخدمه في أغلب مصطلحاته وهذا ما نلمسه في كتاب "البيان والتبيين" إضافة إلى النقل والمجاز.

صاغ الجاحظ مصطلح البلاغة من عدة مواد اشتقاقية وهي كما رأينا في المبحث الأول وهي: الإبلاغ، يبلغ، البالغة...،وهذه الاشتقاقات كلها تشترك في نفس معنى الذي يتمل في الوصول والقبض على المعنى، كما أنه اعتمد في مصطلح البلاغة على الاشتقاق الأكبر وقد ظهر في مصطلحين هما: المبالغة والمغالبة إذ يختلف معناها عن معنى مصطلح البلاغة.

ويظهر اهتمام الجاحظ بمصطلح البلاغة في تكراره للبلاغة (33 مرّة) في الجزء الأول فقط أكثر من المشتقات الأخرى أما بالنسبة لمصطلحات البليغ تكررت (17 مرّة) أما البلاغة (6مرّات) والإبلاغ (2) والبلاغة تكررت مرة واحدة، ولعل اهتمام الجاحظ بمصطلح البلاغة دون مشتقاتها راجع إلى تأكيد الجاحظ على الدور الكبير الذي تلعبه البلاغة من تحقيق الكلام البليغ والمعاني الواضحة وذلك حتى يتسنى للمتلقي الفهم والوضوح، ويبرز اهتمام الجاحظ أيضا بالبلاغة عند ذكره لتعريفات عديدة لمختلف اللغويين (وهذا قد أشرنا إليه في الفصل الأول بخصوص البلاغة عند الجاحظ) ويتضح لنا أن الجاحظ قد أكثر من مصطلح البلاغة حتى يبين لنا أن بلاغة العرب لا تضاهيها أي بلاغة عند الأمم الأخرى.

كما صاغ الجاحظ أيضا لمصطلح البيان عدّة مواد اشتقاقية وهي: التبيين، التبيّن، الاستبانة، الإبانة، فكل هذه المشتقات تشترك في نفس المعنى الذي هو الإظهار والإيضاح، أما مصطلح التباين فهو يختلف عن البيان، ومن هنا برز تميز الجاحظ وانفراده عن بقية اللغويين والنقاّد إذ نجده يلجأ أحيانا إلى تعريف المصطلح

---

(3) محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين، ص11.

(4) م. ن ،ص12.

باستعمال ضده أو مرادفه وهذا ما جعل طريقته في الصناعة تثري الدرس البلاغي إضافة إلى إثراء اللغة العربية وتطورها.

وقد ركز الجاحظ في استخدامه لمصطلح البيان أكثر من مشتقاته فقد تكرر مصطلح البيان (57مرّة) أما بالنسبة للمصطلحات الأخرى فتكرر مصطلح التبيين (7مرّات) أما الاستبانة (2) وتكرر التباين مرّة واحدة.

فالجاحظ ركز على مصطلح البيان دون مشتقاته وربما يعود هذا إلى دفاعه عن العرب ضد الشعوبية واثبات أن البيان ميزة يتميز بها العرب دون غيرهم.

استخدم الجاحظ مصطلح "الفهم" و"الإفهام" إذ صاغ عدّة اشتقاقات وهي أفهم، التفهم، المفهم، المتفهم فهي تشترك في نفس المعنى غير أن الجاحظ ركز على مصطلح الإفهام الذي تكرر(11مرّة) أما الفهم فتكرر (6مرّات) فالجاحظ اعتنى بالمتلقي وأكدّ على ضرورة تحقيق الإفهام له وذلك بجل المعاني سهلة وواضحة.

والجاحظ في طريقة صناعته للمصطلحات اعتمد أيضا على المجاز وتمثل في مصطلح "الصناعة" حيث نقله من معناه الحقيقي وهو الحرفة إلى مجال النقد، كما استعمل الجاحظ عدّة مشتقات لهذا المصطلح وهي: صنيع، صانع، صنع وقد قابل مصطلح الصناعة بمرادفه النسيج.

وكذلك نقل الجاحظ مصطلحات من النقاد واللغويين الذين سبقوه أو عاصروه وهذا بارز في العديد من مصطلحاته منها « مصطلح البديع الذي نقله من الروّاة» [1].

غير أن الجاحظ أعد استعماله بطريقة مبتكرة حيث جعل البديع في دفاعه عن العرب فيقول: « البديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة »[2] . فالعرب هم أول من تطرقوا إلى مصطلح البديع واستعملوه في خطاباتهم.

كما أنه نقل أقوال عديدة عن ابن المقفع في قوله: «ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته»[3] .

وقد ذكر الجاحظ عند حديثه عن تلاحم أبيات الشعر وتوافقها، فالجاحظ نقل هذا المصطلح وأراد به أن يكون الكلام متلاحما وجاء في قوله: « وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند إنشاء ذلك الشعر مؤونة، وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ».[4] فالجاحظ قد استعمل في نصوصه أقوالا عديدة عن غيره حتى يستدل به فغاية الجاحظ من هذه الطرائق إثراء الدرس البلاغي وتطويره.

---

(1) أحمد المطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ص378.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، ص378.

(3) م. ن، ص116.

(4) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ص134.

3- العلاقات التركيبية بين المصطلحات:

أثار الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" العديد من الانتقادات وذلك في الكيفية التي صنع بها نصوصه إذ أجمع النقاد على: « عجز الجاحظ عن تصوّر نظام بلاغي منسجم وجعل ذلك على حساب حداثة هذا العلم والتطور المحدود للعلوم والفنون آنذاك» [1]. وهذا ما عيب على الجاحظ على الرغم من أنه كان متمرّسا في الجانب البلاغي.

وعاب أبو هلال العسكري ذلك على الجاحظ واعتبر أن: « الطريقة التي اختارها الجاحظ لمعالجة القضايا البلاغية وخاصة الرمزية التي لجأ إليها أحيانا مسؤول عن هذ »ا[2] . فعلى الرغم من أن أبو هلال أشاد كثيرا بالجاحظ غير أنه عاب عليه طريقة تناوله للمصطلحات البلاغية أو الدرس البلاغي ككل.

كما نجد الجاحظ عند استخدامه لمصطلح الصناعة قابله بمرادفه النسيج غير أنه عند استعماله لمصطلح النسيج لم يكن متقيّدا بهذا المصطلح داخل نصوصه فالنسيج عبارة عن تشابك وتداخل بين العلامات اللغوية حيث أن هذه العلامات تكون مترابطة فيما بينها، فالجاحظ تحدث عن النسيج في صناعة الشعر وصناعة الكلام، إذ أنه في استخدامه لمصطلحاته لم يراع هذا النسيج، فكان يستعملها بطريقة فضفاضة وغير مترابطة فيما بينها فالجاحظ عند تحدثه عن المصطلحات لم يفصل فيما بينها، كما أنه لم يخصص لكل مصطلح بابا أو فصلا يتعلق به فتارة نجده يعرف البلاغة وتارة أخرى يتحدث عن البيان ثم ينتقل إلى موضوع الفهم والإفهام وبعدها يعود إلى تعريف البلاغة، كما نجده أحيانا يعرف البلاغة ثم ينتقل إلى التحدث عن ناقد أو شاعر أو خطيب فمثلا في احد نصوصه نجده: «يبدأ بتعريف البلاغة عند مختلف النقاّد وكيف وردت البلاغة عندهم ثم ينتقل بعدها مباشرة إلى وصف شخصية سهيل ابن هارون »[3].

فقد كانت ظاهرة الاستطراد وعدم الترابط بين الأفكار والموضوعات بارزة في مؤلفاته فقد اختار الجاحظ لنفسه أسلوبا فريدا لم يسبقه إليه أحد سواء من السابقين أو المعاصرين ومن اطلع على أسلوبه في كتبه سيجد بأنه يستخدم الاطراد كثيرا إذ أن « الأسلوب الذي اختاره لنفسه في التعبير عن الأفكار، مبني على الإبهام أو ازدواج معنوي صريح ظاهر، سهل الإدراك واضح الدلالة ومعنى خفي بعيد الغور صعب المنال والتتبع »[4] . ونجد بأن الجاحظ قد اعتمد على أسلوب المزاوجة ولهذا على القارئ أن يكون ذكيا في قراءته ومتمكنا من الفهم.

وجاء في قول أحد الباحثين: « إن من يحاول الاهتداء إلى أراء الجاحظ – يعني آراءه البلاغية- من كتبه عليه أن يستوعب تلك الكتب من أوّلها إلى آخرها وسيجد حينها –كثيرا العنت حتى يوفق غلى **ما يريده**

---

(1) أحمد مطلوب: المصطلحات البلاغية،ص134

(2) م. ن: ص .ن.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين، ص88.

(4) محمد الصغير البناني ،ص62.

ويستطيع أن يجمع تلك الأفكار المشتقة »[1] . فالجاحظ كان أسلوبه معقدا صعبا للفهم لا يستطيع فهمه إلى بالتركيز.

فطريق الجاحظ في استخدامه للمصطلحات كانت غير مترابطة وفضفاضة في الاستعمال فالجاحظ لم يضبطها عند استخدامها ما جعل البحث العلمي عنده يفتقر إلى التبويب الدقيق والصعوبة الكبيرة في الفهم.

فهناك أسباب عديدة جعلت من الجاحظ كثير الاستطراد حسب آراء النقاد ومنها: [2]

1- طبيعة العصر الذي عاش فيها الجاحظ فلم يكن هذا العصر يعرف طريق المنهج العلمي المنظم كما رسمه العلماء بعده فالمؤلفات البلاغية بصفة خاصة لم تكن تعرف التبويب العلمي الدقيق الذي هو أبرز خصائص المنهج العلمي، وإنما كان طابعها الخلط والاستطراد الذي يخرج بالقارئ من الخط الأساسي الذي يعالجه المؤلف إلى موضوعات وقضايا فرعية لا تمت إلى الموضوع المطروح بأي صلة.

2- أن الجاحظ كان رجلا واسع المعرفة والاطلاع، ضليعا في الثقافة مشهودا له بالعبقرية ممن عاصره وممن جاء من بعده، رحب العقل والتفكير مرهف الحس والوجدان ومن هنا تزاحمت عليه الأفكار وتسابقت إلى قلمه فحشد لها كل ما استطاع أي يسجله مما جال بفكره في كتاباته. وبالرغم من أن الجاحظ كان أسلوبه استطرادي وصعبا للفهم إلا أنه استطاع أن يبرز في البلاغة العربية حتى أنه جعل منها فضاء واسعا لإثراء اللغة العربية وتطويها، كما أنه قد حقق مكانة جعلت الذين أتوا من بعده ويسرون على منواله ويقتبسون منه.

ويتضح لنا من خلال دراستنا للمصطلحات بأن الجاحظ لم يكن صانعا لها وإنما أخذها واستعملها بطريقة إبداعية خاصة به، حيث أنه أخذ من مصادر مختلفة منها القرآن الكريم وكذلك أخذ من السابقين له.

إذ نجده مثلا أخذ قد أخذ مصطلح البيان من القرآن إذ أن « البيان كان متداولا معروفا قبل لعصر الجاحظ بدليل وروده مرات عديدة في القرآن » فقد استخدم الجاحظ البيان بطريقة مستحدثة جعلت منه صانعا حقا ،حتى أن هناك من النقاد واللغويين من أخذوا عنه هذا المصطلح وأضافوا عليه لمستهم الخاصة، فالجاحظ عند تعريفه البيان جعل معناه متسعا و فضفاضا في قوله: « البيان اسم جامع لكل شيء »[1] . غير أن جلّ اللغويين الذين آتوا من بعده أعطوا له تعريف دقيق.

ونجد ابن رشيق يعرفه بأنه: «الكشف عن المعنى وعدم الغموض فيه »[2] . فطريقة الجاحظ مختلفة سواء في صياغته للمصطلحات أو في طريقة توظيفها وهذا ما جعل منه صانعا للمصطلحات ومبدعا لها.

---

[1] فوري السيد عبد ربه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ، في البيان والتبيين، ص117.

[2] محمد الصغير بناني، ص182.

[1] الجاحظ: البيان والتبيين،ص76.

[2] إنعام فوّال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، ص270.

وفي الأخير نخلص إلى أن الجاحظ في طريقة صناعته للمصطلحات قد أبدع في استعمالها بشكل جديد ومبتكر، إذ أنه اعتمد في صياغته للمصطلحات على الاشتقاق وكذلك المجاز بالإضافة إلى النقل، كما نجد الجاحظ في صناعته للمصطلح قد راعى العناصر التداولية من المتكلم والمتلقي، والمقام.

غير أن الجاحظ في صناعته للمصطلح وجهت له انتقادات عديدة تتعلق بمسألة الدقة والوضوح في استخدامه للمصطلحات وتداخل المفاهيم فيما بينها.

خاتمة

خاتمة:

بناء على ما تقدم عرضه في فصول هذا البحث يمكننا استخلاص النتائج المتوصل إليها و التي نوجزها كالآتي:

- **يعد الجاحظ ناقد موسوعي جمع علوما كثيرة أبرزها في البلاغة العربية.**
- **لقد تعدد آراء النقاد و اللغويين حول ماهية البلاغة، و ذلك لارتباطها بمختلف العلوم و خاصة النقد.**
- **عرفت البلاغة في عصر الجاحظ تطورا و ذلك بفضل مجهوداته الكبيرة التي ظهرت في مؤلفاته خاصة كتاب البيان و التبيين.**
- **جعل الجاحظ للبلاغة عدة مرادفات كالصناعة و الخطابة.**
- **انفتاح بلاغة الجاحظ على الفلسفة حتى صارت للبلاغة العربية فلسفة خاصة لها مميزاتها و سماتها التي تطبعها دون غيرها من العلوم.**
- **لقد اهتم الجاحظ بمختلف البلغاء الذين سبقوه أو عاصروه و أوردهم في كتابه البيان و التبيين.**
- **تميزت صناعة الجاحظ للمصطلحات البلاغية بطرائق مختلفة من مجاز و اشتقاق و نقل.**
- **لم يكن الجاحظ دقيقا و واضحا في صناعته للمصطلحات البلاغية إذ لم يفصل في مصطلحاته إنما عرفها بأمثلة و شواهد.**

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

I. المصادر والمراجع:

1. ابن رشيق القيرواني: العمد في محاسن الشعر و أدبه و نقده،ط 5، دار الجيل، لبنان، ج 1، 1981.
2. ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ط1، دار الكتب العلمية، 1982.
3. ابن فارس: مقاييس اللغة، ط3، دار الكتب العلمية لبنان، ج2.
4. ابن منظور محمد أبو الفضل: لسان العرب، ط 1، دار صادر للطباعة و النشر، لبنان، 1992،ج2.
5. أبو الحسن الجرجاني: الوساطة بين المتنبي و خصومه.
6. أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تح: محمد علي نجار، دار الكتب المصرية، ج1.
7. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان و التبيين، تح:عبد السلام هارون، ط 7، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر، القاهرة، ج1، ج2، ج3، ج4، ص1998.
8. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، تح : عبد السلام هارون،ط 2، مكتبة و مطبعة البابي الجلبي، القاهرة، ج1،ج2،ج3،ج4،ج7.
9. أبو فراج قدامة بن جعفر: نقد الشعر ، تح:محمد عبد المنعم الخفاجي دار الكتب العلمية، لبنان.

10. أبو قاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة ، تح: محمد باسل عيون الشود، ط1،دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، 1998.

11. أبو هلال العسكري: الصناعتين،ط2، دار الكتب العلمية، لبنان1989.

12. أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1983.

13. أحمد حمدان: الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي، تح: أحمد عبد الله فرهور،ط 1، دار القلم العربي، سوريا، 1997.

14. أحمد علي زهرة: الكلام و الفلسفة عند المعتزلة و الخوارج، ط 1، نينوي للدراسات و النشر و التوزيع، دمشق 2004.

15. أحمد مطلوب: كامل حسن البصير: البلاغة و التطبيق،ط2، 1999.

16. أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، مطبعة المجمع العراقي، 1987، ج1.

17. أحمد مطلوب: معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ج1

18. أرسطو: فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة.

19. أسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة و صحاح العربية، تح: أحمد عيد الغفور عطار،ط 1، دار الملايين، مصر، 1952،ج1، مج4.

20. إنعام فوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع و البيان و المعاني،ط 2، دار الكتب العلمية، لبنان،1996.

21. بن عيسى باطاهر: تيسير البلاغة في كتب التراث.

22. الجاحظ:رسائل الجاحظ، تح: علي أبو ملحم،ط3، دار و مكتبة الهلال، لبنان، 1955.

23. جاك دريدا: صيدلة افلاطون، تر: كاظم جهاد، دار الجنون للنشر، تونس 1998.

24. جبور عبد النور : المعجم الأدبي،ط2 ، دار العلم للملايين، لبنان 1984.

25. جرجي زيدان: تاريخ أدب اللغة العربية ،موفم للنشر، الجزائر، ج2.

26. جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القروينيالخطيب،تلخيص المفتاح، تح: عبد الرحمان البرقوق،ط1، دار الفكر العربي، 1904.

27. جيل دولوز، فيلكس غثاري: ما هي الفلسفة،تر: مطاع الصفدي، ط 1،مركز الانتماء القومي، لبنان، 1997.

28. حازم القرطاجني : منهاج البلغاء و سراج الأدباء ،ط3، دار العرب الإسلامي لبنان، 1986.

29. حامد صادق قنيبي: مباحث في علم الدلالة و المصطلح،ط 1، دار ابن الجوزي، الأردن، 2005.

30. حمو الحاج ذهيبة: لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، ط 2، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر.

31. خطيب القروبني: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان.

32. الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003،ج2.

33. رولان بارت: لذة النص: تر: منذر عياشي، ط1، مركز الانتماء القومي، لبنان، 1992.

34. الشريف الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، لبنان، 1985.

35. شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة.

36. عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، تح: دروش الجويدي، المكتبة العصرية، لبنان، 2002.

37. عبد العزيز عتيق: في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة للطباعة و النشر، لبنان.

38. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح:محمود محمد شاكر ، دار المدني، جدة.

39. عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني: النحوي:دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر،ط3، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة، 1992.

40. عبد الله بن المعتز: البديع، ط3، دار المسيرة، الكويت، 1983.

41. عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض و تفسير و مقارنة دار الفكر العربي، القاهرة، 1992.

42. علي بوم حلم : المناحي الفلسفية عند الجاحظ،ط1، دار و مكتبة الهلال، لبنان 1994.

43. علي محمد حسن عبد الله العماري: قضية اللفظ المعنى و أثرها في تدوين البلاغة العربية، أميرة للطباعة،1999.

44. فوزي السيد عبد ربه: المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005.

45. القاضي علي عبد العزيز الجرجاني : الوساطة بين المتنبي و خصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي،ط1، المكتبة العصرية، لبنان، 2006.

46. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، تح: إبراهيم مصطفى و آخرون، المكتبة الإسلامية للنشر و التوزيع، تركيا، ج1

47. محمد أحمد بن طباطب العلوي: عيار الشعر، تح: عباس عبد الستار، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1982.

48. محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1994.

49. محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي،ط2، إفريقيا الشرق، المغرب، 2002.

50. محمد بن يحيا زكريا: بناء المفاهيم، الجزائر،2008.

51. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة "بحث في بلاغة النقد المعاصر"،ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، لبنان، 2008.

52. محمد شطوطي: المدخل إلى الفلسفة العامة، دار طليطلة، الجزائر 2009.

53. محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث العربي، دار الشرق العربي لبنان.

54. محمد علي التهانوي: كشاف مصطلحات الفنون و العلوم، تح:عليدجروج، مكتبة لبنان، ج1.

55. محمد علي زكي صباغ: البلاغة الشعرية في كتاب البيان و التبيين، ط 1، المكتبة العصرية لبنان، 1998.

56. محمد كريم الكواز: البلاغة و النقد، المصطلح النشأة و التجديد، ط1، لبنان، 2006.

57. مصطفى درواش: خطاب الطبع و الصنعة رؤية نقدية في المنهج و الأصول، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.

58. نزيه عبد الحميد فراج: من مباحث البلاغة و التقدير بين ابن الأثير و العلوي،ط 1، مكتبة وهبة، 1997.

59. نصر حامد أبو زيد: الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، ط5، المركز الثقافي العربي المغرب، 2003.

60. هنترميد: الفلسفة و أنواعها و مشكلاتها، تح: فؤاد زكريا مكتبة مصر، مصر 1969.

II. المجلات:

61. طلعت الأخرس: الأبستيمولوجيا، نحو فلسفة جديدة للعلوم، مجلة فصلية، العدد التاسع، ط1، المؤسسات الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، 2010.

62. لحسن دحو: كاريزما المصطلح النقدي العربي ، تأملات في الوعي النقدي و صياغة المفهوم، مجلة المخبر، العدد 7، جامعة محمد خيضر،2009.

III.الرسائل:

63. ياسر بومناخ: المعنى في البلاغة العربية من منظور اللسانيات التداولية، دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني –عينة–، معهد الداب و اللغات، قسم اللغة و الأدب العربي، الجزائر،2014.

64.مهدي صالح سلطان الشمري: في المصطلح ولغة العلم، كلية الأدب، جامعة بغداد، 2012.

IV. المواقع الإلكترونية:

65.http:// www.maghress.com/alitihad/120020

محمد الشبه : " مفهوم المحاكاة عند أرسطو"، 14ديسمبر2010.

66.www.ounad.net/spip.php?article644

عدلي الهواري: " القراء التفككية"

67.www.ma-arbia.com/vbishowtnread

محمد شوقس الزين: " نسيج النص: علامات في التفكيك" مجلة السيمات، العدد 02 سبتمبر 2001.

http:// www.maghress.com/alitihad/120020.68

الجاحظ:" رسالة الجاحظ حول علم الكلام" سبتمبر 2003.

فهرس المحتويات

	الصفحة
بسملة	
شكر وتقدير	
إهداء	
مقدمة	أ – ج
تمهيد	5– 12
الفصل الأول: الدرس البلاغي عند الجاحظ، المفهوم والموضوعات والأسس النظرية	
المبحث الأول: القضايا البلاغية في النص البلاغي القديم	14– 23
1– لغة	14– 15
2– اصطلاحا	15– 23
المبحث الثاني: أصناف البلغاء وألوان البلاغة في البيان والتبيين	24– 30
1– النقاد البلغاء	24– 27
2– القادة السياسيون	28– 30
المبحث الثالث: البلاغة والفلسفة في النص البلاغي للجاحظ	31– 44
1– اتساع مجال البلاغة	32– 33
2– انفتاح الدين على الفلسفة	34– 38
3– البعد الأنطولوجي والمعرفي في خطاب الجاحظ	38– 42
4– الأنطولوجيا والبلاغة في خطاب الجاحظ	42– 44
الفصل الثاني: الصناعة في النص النقدي للجاحظ	
المبحث الأول: مفهوم الصناعة في النقد العربي القديم	46– 54
1– لغة	46– 47
2– اصطلاحا	47– 49
3– الصناعة/ الصنعة	50– 52
4– الصناعة بين المعرفة النظرية والتطبيقية	53– 54
المبحث الثاني: الصناعة في الثقافة اليونانية	55– 61
1– مفهوم الصناعة عند اليونان	55– 56
2– الصناعة والخطابة	56– 57

3– صناعة الشعر والنسيج	61 –57
المبحث الثالث: الصناعة في كتب الجاحظ	66 –61
1– اتساع الصناعة عند الجاحظ	64 –61
2– صناعة الشعر	66 –64
الفصل الثالث: صناعة المصطلح البلاغي لدى الجاحظ	
المبحث الأول: طريقة صنع المصطلح	102 –68
1– المصطلح في اللغة والاصطلاح	70 –68
2– المصطلحات المشتركة في التراث مع النقاد	78 –70
3– الاشتقاق الأصغر	91 –79
4– المجاز	102 –91
المبحث الثاني: صناعة المصطلح والعناصر التداولية في البيان والتبيين	108 –103
1– المتكلم	106 –103
2– المتلقي	107 –106
3– المقام	108 –107
المبحث الثالث: تقييم تجربة صناعة المصطلح لدى الجاحظ	122 –109
1– تقييم المصطلحات من حيث الدقة والوضوح	114 –109
2– ثراء طرائق الصياغة	117 –114
3– العلاقات التركيبية بين المصطلحات	122 –117
خاتمة	123
قائمة المصادر والمراجع	130 –124